مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبداللّه الراجحي (٢٧)

الإيضاح والتبيين لبعض صفات المؤمنين

فضيلة الشيخ

عَبْدالعزيز بنِ عبْداللّه الرَّاجحي

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٤م

تم الصف والإخراج

بمركز عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

للإستشارات والدراسات التربوية والتعليمية

الإيضاح والتبيين

لبعض صفات المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه كلمات في إيضاح بعض صفات المؤمنين التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، وأثنى على عباده المُتَّصِفين بها، كَتَبْتُها تَذْكرةً لنفسي ولإخواني؛ ليكون ذلك حافزًا وباعثًا على الاتِّصاف بها، فيُحَصِّل المسلم بذلك ما وعد الله تعالى به المتصفين بها من الثواب الجزيل في الآخرة، والحياة الطيبة في الدنيا، وقد سميتها: «الإيضاح والتبيين لبعض صفات المؤمنين».

وقد رجعت في ذلك إلى مجموعة من كتب التفسير المعروف أصحابها بسلامة المعتقد، ومجموعة من كتب السنة، وكتب العقائد، وكلام أهل العلم المعتبرين.

وأسأل الله ﷻ أن ينفعني بها وإخواني المسلمين، وأن يجعل العمل خالصا لوجهه الكريم، وسببًا للفوز لديه في جنات النعيم؛ إنه على كل شيء قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا

بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والتابعين.

✍ **كتبه**

عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

الصفة الأولى
الإيمان بالغيب

إن من صفات المؤمنين التي نوَّه الله عنها في كتابه العزيز: الإيمان بالغيب؛ وقد مدح الله المؤمنين، وأثنى عليهم في اتصافهم بهذا الوصف، ووعدهم عليه ـ مع أوصاف أخرى ـ: الفلاحَ؛ وهو الفوز بما يطلبون من كرامة الله ورضاه، والنعيم المقيم في الجنان في الدار الآخرة، فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال، والنجاة من المرهوب من الإهانة والعذاب السرمدي الأبدي في النار، الذي لا صبر لأحد على بعضه.

وعدهم الله تعالى هذا الوعد الحسن الكريم، لاتصافهم بالإيمان بالغيب مع: إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم سبحانه، والإيمان بما أنزل على الرسول ﷺ، والإيمان بما أنزل على الرسل السابقين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ للنبي ﷺ، وأخبر أنهم هم المهتدون؛ لأنهم على صراط مستقيم، فقال تعالى في أول سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البَقَرَة: ٢-٥].

يا له من ثناء، ويا له من فوز عظيم لا يشبهه فوز، ويا له من فخر وشرف واعتزاز، ويا لها من سعادة حقة، فلا ثناء أعظم من ثناء الله ﷻ ولا كرامة فوق كرامة الله ﷻ ولا نعيم أفضل من نعيمه، ولا كرم

أحسن من كرمه ﷻ ؛ فالله سبحانه يثني عليك ـ أيها المؤمن ـ في إيمانك بالغيب، ويعدك على ذلك الفلاح والفوز والظفر والسعادة، ويخبرك أن المؤمن بالغيب ـ مع الأوصاف الأخرى ـ قد استقام على شرع الله، فهو على هداية من ربه.

ولكن يا أخي الكريم: ما الإيمان بالغيب الذي هذا شأنه؟

الإيمان في اللغة: التصديق بالقلب.

وفي الشريعة: الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح.

فالإيمان كلمة جامعة للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وتصديق الإقرار بالأفعال.

فالإيمان الشرعي المطلوب لابد فيه من: الاعتقاد والقول والعمل، وتدخل الخشية لله ﷻ ـ وهي من أعمال القلوب ـ في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل.

وقد اختلفت عبارات العلماء في تفسير الإيمان:

فمنهم من فسره بالتصديق.

ومنهم من فسره بالعمل.

ومنهم من فسره بالخشية؛ وهي: خلاصة الإيمان والعلم.

وكل هذه التفسيرات صحيحة؛ إذ أنها كلها داخلة في مسمى الإيمان، وهي بعض مسمى الإيمان، والإيمان يشملها كلها فهو أعم منها.

- **والإيمان أعم من الإسلام** وأفضل؛ فكل إيمان إسلام، وقد يطلق على الرجل الإسلام، ولا يطلق عليه الإيمان؛ إذا لم يقم بواجب الإيمان الحقيقي، كما قال الله تعالى في سورة الحجرات: ﴿قَالَتِ

ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ﴾
[الحُجرَات: ١٤].

- والإيمان مأخوذ من: الأمان، وسمي المؤمن مؤمناً؛ لأنه يؤمِّن نفسه من عذاب الله ﷻ.

والله - تعالى - من أسمائه: المؤمن؛ لأنه يُؤَمِّن العباد من عذابه.

- وقد وردت أدلة كثيرة تدل على أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان، وأن الإيمان لا يكون بدون العمل؛ ومن ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾ [[الحجرات: ١٥].

٣ - قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [[النساء: ٦٥].

٤ - وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»(١).

٥ - وفي الصحيحين: «**الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم: (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب بَابُ أُمُورِ الإِيمَانِ، رقم: (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٦ ـ وفي السنن: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[(١)].

إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة.

ـ وأما الإيمان بالغيب: فقد اختلفت عبارات السلف فيه:

١ ـ قال بعضهم: معنى يؤمنون بالغيب: (**يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَجَنَّتِهِ وَنَارِهِ وَلِقَائِهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَبِالْبَعْثِ، فَهَذَا غَيْبٌ كُلُّهُ**)[(٢)].

٢ ـ وقال بعضهم: (**الغيب مَا غَابَ عَنِ الْعِبَادِ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ، وَأَمْرِ النَّارِ، وَمَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ**)[(٣)].

٣ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (**الغيب ما جاء من الله تعالى**)[(٤)].

٤ ـ وقال زر بن حُبَيْش: (**الغيب القرآن**)[(٥)].

٥ ـ وقال عطاء بن أبي رباح: (**مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ فَقَدْ آمَنَ بِالْغَيْبِ**)[(٦)].

٦ ـ وقال إسماعيل بن أبي خالد: (**الإيمان بالغيب أي: بِغَيْبِ الْإِسْلَامِ**)[(٧)].

٧ ـ وقال زيد بن أسلم: (**الإيمان بالغيب أي: بِالْقَدَرِ**)[(٨)].

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، رقم: (٤٦٨٢)، والترمذي: أبواب الإيمان، بَابُ مَا جَاءَ فِي اسْتِكْمَالِ الإِيمَانِ وَزِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ، رقم: (٢٦١٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١/٣٦) وذكره الثعلبي (١/٤٦) عن الربيع عن أبي العالية، وأخرجه الطبري (١/٢٣٧) عن الربيع بن أنس. قال الشيخ أحمد شاكر: [لعل ذكر: عن أبي العالية سقط من الإسناد من نسخ الطبري، لثبوته عند الناقلين عنه]. وأخرجه عنه، وقد جاء بنحوه عن قتادة، كما أخرجه الطبري (١/ ٢٣٧).

(٣) أخرجه الطبري (١/٢٣٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ.

(٤) أخرجه الطبري (١/٢٣٧).

(٥) أخرجه الطبري (١/٢٣٧) وابن أبي حاتم (١/٣٦).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم عن عطاء بن أبي رباح (١/٣٦) وإسناده صحيح.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١/٣٦) وتفسير ابن كثير (١/١٦٦).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١/٣٦) وتفسير ابن كثير (١/١٦٦).

※ **قلت**: وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي متقاربة المعنى، وجميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به؛ فالإيمان بالغيب يشمل: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والقدر، وما ذكر في القرآن، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وكما أن الله تعالى أثنى على من آمن بالغيب مع الأوصاف الأخرى، وأخبر أنه على هدى من ربه، وأنه حصل على الفلاح؛ فقد **وردت أيضًا آثار كثيرة في فضل الإيمان بالغيب؛ ومن ذلك**:

١ ـ ما ورد عن عبدالرحمن بن يزيد، قال: كنا عند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه جلوسًا، فذكرنا أصحاب النبي ﷺ وما سبقونا به، فقال عبدالله: إن أمر محمد ﷺ كان بيّنًا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانًا أفضل من إيمان بالغيب، ثم قرأ ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ١-٥][(١)].

٢ ـ ما ورد عن صالح بن جبير قال: قَدِمَ عَلَيْنَا أَبُو جُمُعَةَ الْأَنْصَارِيُّ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ لِيُصَلِّيَ فِيهِ، وَمَعَنَا رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ يَوْمَئِذٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ خَرَجْنَا مَعَهُ لِنُشَيِّعَهُ، فَلَمَّا أَرَدْنَا الِانْصِرَافَ قَالَ: إِنَّ لَكُمْ عَلَيَّ جَائِزَةً وحَقًّا أَنْ أُحَدِّثَكُمْ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَا: هَاتِ يَرْحَمُكَ اللهُ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ

(١) أخرجه الحاكم: كتاب التفسير (٢/٢٨٦/٣٠٣٣)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي.

ﷺ مَعنا مُعاذُ بْنُ جَبَلٍ عَاشِرَ عَشَرَةٍ، فقُلْنا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ مِنْ قَوْمٍ أَعْظَمُ مِنَّا أجرًا آمَنَّا بِكَ واتَّبَعْنَاكَ؟ قَالَ: «**مَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ ذَلِك ورَسُولُ اللهِ ﷺ، بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ يَأْتِيكُمْ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، بَلَى، قَوْمٌ يَأْتِيهِمْ كِتَابٌ بَيْنَ لَوْحَيْنِ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، أُولَئِك أَعْظَمُ مِنْكُمْ أجرًا، أُولَئِك أَعْظَمُ مِنْكُمْ أجرًا، أُولَئِك أَعْظَمُ مِنْكُمْ أجرًا**»[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ بعد سياق هذا الحديث: (**وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى الْعَمَلِ بالوِجَادة الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا أَهْلُ الْحَدِيثِ، كَمَا قَرَّرْتُهُ فِي أَوَّلِ شَرْحِ الْبُخَارِيِّ؛ لِأَنَّهُ مَدَحَهُمْ عَلَى ذَلِك وَذَكَرَ أَنَّهُمْ أَعْظَمُ أجرًا مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ، لَا مُطْلَقًا**) أ.هـ[(٢)].

* **قلت**: إن من بعد الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أعظم أجرًا من هذه الجهة، وهي جهة الإيمان بالغيب، ولا ينافي ذلك أن يكون الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أعظم أجرًا ممن بعدهم من جهات أخرى، كجهة الصحبة وغيرها؛ فإن مزية صحبتهم لرسول الله ﷺ خاصة بهم، لا يلحقهم فيها من بعدهم إلى يوم القيامة.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: (٤/ ٢٣/ ٣٥٤٠).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٦٧).

الصفة الثانية

إقامة الصلاة

من صفات المؤمنين: إقامة الصلاة، وهي من الصفات الظاهرة العملية؛ وقد وصف الله تعالى المؤمنين بهذا الوصف في غير ما آية من كتابه، فقال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ٢-٣].

وقال تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [لقمان: ٣-٤].

وقال تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾ [النمل: ٢-٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٧﴾ [البقرة: ٢٧٧].

- وأمر الله ﷻ المؤمنين بالاتصاف بهذا الوصف - إقامة الصلاة - في مواضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٠﴾ [البقرة: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦﴾ [النور: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقد اختلفت عبارات السلف في معنى هذا الوصف ـ إقامة الصلاة ـ:

١ ـ فعن ابن عباس رضي الله عنهما: «**إِقَامَةُ الصَّلَاةِ: إِتْمَامُ الرُّكُوعِ، وَالسُّجُودِ، والتلاوة، والخشوع، والإقبال عليها فيها**»[١].

٢ ـ وقال قتادة: «**إِقَامَةُ الصَّلَاةِ: الْمُحَافَظَةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا، وَوُضُوئِهَا، وَرُكُوعِهَا، وَسُجُودِهَا**»[٢].

٣ ـ وقال مقاتل بن حيان: «**إِقَامَتُهَا: الْمُحَافَظَةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا، وَإِسْبَاغُ الطُّهُورِ فِيهَا، وَتَمَامُ رُكُوعِهَا، وَسُجُودِهَا، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ فِيهَا، وَالتَّشَهُّدُ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَهَذَا إِقَامَتُهَا**»[٣].

* **قلت**: وكل هذه المعاني صحيحة؛ وإقامة الصلاة يشمل ذلك كله، ويجمع هذه المعاني أن يقال: إقامة الصلاة: عبارة عن إدامتها، والمحافظة عليها في مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئاتها؛ لأن إقامة الشيء عبارة عن الإتيان بحقوقه؛ يقال: قام بالأمر، وأقام الأمر إذا أتى به معطيًا حقوقه.

والصلاة في اللغة: الدعاء؛ قال الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة:١٠٣]، أي: ادع لهم؛ وفي الشريعة: اسمٌ لأفعال مخصوصة: من قيام، وركوع، وسجود، وقعود، ودعاء، وثناء؛ على هيئة مخصوصة، في أوقات مخصوصة[٤].

وبهذا يتبين لك ـ أيها المسلم ـ أن إقامة الصلاة ليس هو مجرد الإتيان بهذه الأفعال المخصوصة فقط، دون إتمام لها، وخشوع، وطمأنينة فيها، ومحافظة عليها، وإدامة لها؛ فإن الله تعالى توعد بالويل لمن صلى ولم يُقِم صلاته، بل سها وغفل عن مقصود الصلاة ولبّها، وروحها، فقال تعالى:

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٤٢) وبنحوه ابن أبي حاتم (١/ ٣٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٣٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٣٧).

(٤) انظر: المبدع في شرح المقنع (١/ ٢٦٣)، والإقناع في فقه الإمام أحمد (١/ ٧٢).

﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤-٥].

فليس كل من صلى يعتبر مقيمًا للصلاة، وذلك أن إقامة الصلاة يتطلب إتمامًا لها، وإخلاصًا فيها، وخشوعًا، وخضوعًا، ورغبة، ورهبة.

ولما فُقِدَت هذه المتطلبات في صلاة المنافقين لم يزدادوا بها من الله إلا بُعدًا، وكانوا في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم لا يصلون صلاة تامة عن إخلاص ورغبة ورهبة، وإنما يصلون نفاقًا ومراءاة للناس، ولا يتمون ركوعهم وسجودهم واعتدالهم، بل ينقرونها كنقر الغراب، ولا يذكرون الله تعالى فيها إلا قليلا.

فمن الأمور اللازمة لإقامة الصلاة: إتمامها، والطمأنينة فيها؛ ومعنى ذلك أن يأتي المصلي بصلاته تامة في ركوعها، وسجودها، واعتدالها، وقراءتها وتسبيحاتها، فمن انتقص شيئًا منها، بأن كان لا يتم ركوعه، ولا سجوده، فقد أتى منكرًا؛ لأنه سارق من صلاته كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ أَسْوَأَ النَّاسِ سَرِقَةً، الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتَهُ**»، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُهَا؟ قَالَ**: «**لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا، وَلَا سُجُودَهَا**»(١).

فسارق الصلاة يجب الإنكار عليه ممن رآه والنصيحة له، أرأيت لو أن سارقًا سرق شيئًا من المال، ألم يكن ذلك منكرًا؟ ويجب الإنكار عليه ممن رآه؟ فسارق الصلاة كذلك، بل هو أعظم سرقة من سرقة المال، ومن رآه على هذه الحال ولم ينهه شاركه في الإثم.

وجاء في الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «**من رأى من أخيه في صلاته شيئا يكرهه، فلم ينصحه، فهو شريكه في الوزر والعار**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، رقم (١١٥٣٢)، وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن الصلت في فوائد ابن الصلت والفرضي (١/٥٧/١٩).

فالطمأنينة ركن من أركان الصلاة، لا تتم الصلاة إلا بها، وقد أمر النبي ﷺ المسيء في صلاته بالإعادة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّلَامَ ثم قَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**». فَرَجَعَ الرَّجُلُ فَصَلَّى كَمَا كَانَ صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَعَلَيْكَ السَّلَامُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَ هَذَا، عَلِّمْنِي، قَالَ: «**إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا**» متفق عليه من حديث أبي هريرة[(١)].

وفي الأثر: (الصلاة مكيال، فمن وفى وُفي له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين)[(٢)]، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ①﴾ [المطففين: ١].

قال مالك رَحِمَهُ اللهُ: كان يقال: (لِكُلِّ شَيْءٍ وَفَاءٌ وَتَطْفِيفٌ)[(٣)].

فإذا توعد الله سبحانه بالويل للمطففين في الأموال، فما الظن بالمطففين في الصلاة!!

وكان هدي سول الله ﷺ في الصلاة الإيجاز مع الإتمام؛ كما في الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوجِزُ الصَّلَاةَ**

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، بَابُ إِذَا حَنِثَ نَاسِيًا فِي الأَيْمَانِ، رقم: (٦٦٦٧)، ومسلم واللفظ له: كتاب الصلاة، رقم: (٣٩٧).

(٢) هذا الأثر يروى عن سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما عند ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٢٤٠)، وعبدالرزاق في المصنف (٢/ ٣٧٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (١/ ٢٥٩)، والدولابي في الكنى والأسماء (٣/ ١١٠١)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٥٠٥).

(٣) الموطأ (١/ ١٢/ ٢٢).

وَيُكْمِلُهَا»(١).

والإيجاز أمر نسبي إضافي، راجعٌ إلى السنة لا إلى رغبة الإمام، ولا إلى رغبة من خلفه؛ **ففعله ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو الإيجاز**؛ وكان يقرأ في الفجر بالستين إلى المائة من الآيات، وكان الصحابة ﭫ يخرّون في ركوعه عشر تسبيحات، وفي سجوده كذلك، فهذا هو الإيجاز مع التمام، وهو إيجاز بالنسبة إلى من فوقه.

وكثير من الناس لا يتم ركوعه ولا سجوده، ولا يطمئن فيها، وخصوصًا إذا كان يصلي منفردًا، أو كان يقضي شيئًا من صلاته فاته مع إمامه، أو كان مسافرًا، أو كان يصلي تطوعًا، حتى إن أحدهم ليصلي الصلاة في لحظات قليلة، لا يتمكن فيها من قراءة الفاتحة ولا الطمأنينة، ولا الذكر الواجب؛ وتجده لا يتم الركوع ولا السجود، ولا يقيم صلبه بعد الركوع، ولا يعتدل بين السجدتين، يظن أن ذلك يجزيه، وأن التطوع يُتسامح فيه عن بعض الأركان، وأن صلاة السفر تجزي بلا طمأنينة ولا إتمام لها، **ويحمله على ذلك: عدم المبالاة بالصلاة والاهتمام بها، والعناية بها، بسبب ضعف الإيمان، أو الجهل بهذه الفريضة العظيمة**، وما تتطلبه من عناية بالطمأنينة، والخشوع.

وكل هذا من مكر الشيطان، وخداعه، ولعبه بالمصلي؛ ليخرجه من عداد المقيمين للصلاة، الذين وعدهم الله تعالى بالكرامة، والرضوان، إلى عداد النقّارين، والسارقين من صلاتهم، الذين تُوعدوا بالإهانة والعقوبة.

هدانا الله تعالى وإياهم صراطه المستقيم، وجنبنا مكر الشيطان، وغروره، وخداعه، إنه على كل شيء قدير.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، بَابُ الإِيجَازِ فِي الصَّلَاةِ وَإِكْمَالِهَا، رقم: (٧٠٦)، ومسلم: كِتَابُ الصَّلَاةِ، رقم: (٤٦٩).

الصفة الثالثة

الخشوع في الصلاة

إن من صفات المؤمنين العظيمة: الخشوع في الصلاة، وقد ذكر الله تعالى هذا الوصف في أول صفات المؤمنين، الذين أخبر بتحقيق فلاحهم، وفوزهم، وسعادتهم، ونجاتهم، وإرثهم لأعلى الجنة، وهو الفردوس، وخلودهم فيه؛ وذلك في أول سورة "المؤمنون"، حيث يقول الله تعالى في مطلع هذه السورة الكريمة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١-٢].

ثم ذكر الله تعالى بقية الأوصاف، ثم قال مخبرًا عن عظيم جزائهم وثوابهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠-١١].

وأصل الخشوع: السكون، والطمأنينة، والانخفاض.

وفي الشرع: خشية من الله تعالى تكون في القلب، فتظهر آثارها على الجوارح.

وقد عدّ اللهُ الخشوع من صفات الذين أعد لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا في قوله في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ - إلى قوله -: ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾، ثم ختم الآية بقوله: ﴿... أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقد بَيَّن الله أن الصلاة صعبة شاقة على غير الخاشعين، وأنها سهلة هيّنة على الخاشعين، فقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

وقد اختلف العلماء في معنى الخشوع في الصلاة على أقوال كثيرة، منها:

القول الأول: هو الإخبات والتَّذَلُّل.

القول الثاني: هو الخوف والسكون.

القول الثالث: هو التواضع.

القول الرابع: هو غضّ البصر، وخفض الصوت، كما قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه:١٠٨].

القول الخامس: هو عدم الالتفات.

القول السادس: هو أن يكون نظر المصلي إلى موضع سجوده، **واستدلوا بما يأتي:**

١ ـ أن النبي ﷺ كان ينظر إلى السماء في الصلاة، فأنزل الله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون:٢] فجعل رسول الله ﷺ بعد ذلك وجهه حيث يسجد[(١)].

٢ ـ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «**هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ العَبْدِ**»[(٢)].

٣ ـ حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَزَالُ اللَّهُ** عز وجل **مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ، وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا الْتَفَتَ انْصَرَفَ عَنْهُ**»[(٣)].

٤ ـ قول أبي هريرة: (كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة، فلما نزل: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، بَابُ الِالْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ، رقم: (٧٥١).

(٣) أخرجه أبو داود: بَابُ تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، بَابُ الِالْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ، رقم: (٩٠٩)، والنسائي: كتاب السهو، بَابُ التَّشْدِيدِ فِي الِالْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ، رقم: (١١٩٥).

خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون:٢] رموا بأبصارهم إلى مواضع السجود).

٥ ـ حديث أنس رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ**»، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ: «لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ»(١).

وأكثر أهل العلم على أن المصلي ينظر إلى موضع سجوده؛ لما سبق من الأدلة، وخالف المالكيةُ الجمهورَ، فقالوا: إن المصلي ينظر أمامه، لا إلى موضع سجوده، واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٤٤]. قالوا: فلو نظر إلى موضع سجوده لاحتاج أن يتكلف ذلك بنوع من الانحناء، وذلك ينافي كمال القيام، وينافي ظاهر الآية المتقدمة؛ إذ أن المنحني بوجهه إلى موضع سجوده ليس بمولٍّ وجهه شطر المسجد الحرام.

القول السابع: الخشوع هو السكون وحسن الهيئة.

القول الثامن: هو أن لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة، وروي: عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا عَبَثَ فِي صَلَاتِهِ، فَقَالَ: «**لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ**»(٢).

القول التاسع: هو جمع الهمّة، والإعراض عما سواها، والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر.

* **قلت**: وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي داخلة في معنى الخشوع، والخشوع أعم منها؛ **إذ الخشوع خشوعان**:

الأول: خشوع القلب؛ بجمع الهمّة وحضور القلب، والتدبر لما

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، بَابُ رَفْعِ البَصَرِ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ، رقم: (٧٥٠)، ومسلم: كِتَابُ الصَّلَاةِ، رقم: (٤٢٨).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٤١٩) وعبدالرزاق في المصنف (٢/٢٦٦) وابن أبي شيبة في المصنف (٢/٨٦) ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (١/١٤٩).

يجري على اللسان من القراءة والذكر، ولما تسمعه الأذن من قراءة إمامه.

الثاني: خشوع الجوارح؛ بسكونها، وعدم العبث، والالتفات إلى غير مقصود الصلاة.

- وبعد معرفة معنى الخشوع في الصلاة؛ فلو نظرنا في واقعنا، وأَمْعنَّا النظرَ لوجدنا الكثير من المصلين لا يخشع في صلاته، بل قد غفل عن المعنى المقصود من الصلاة، وقد استولت الغفلة والخواطر والوساوس وحديث النفس والشكوك على الكثير منهم، فيدخل في صلاته ويخرج منها، وما يدري كم صلى، ولا كيف صلى، ولا ماذا قرأ إمامه؛ فلا يتدبر القراءة، ولا يستحضر عظمة الله تعالى، ولا يستجمع همّته عند ذكر أو تسبيح أو تشهّد أو قراءة.

وكثر العبث من كثير من المصلين في صلاتهم حتى كأنه ليس في الصلاة، **فمنهم** من يعبث بلحيته، **ومنهم** من يدخل أصابعه في خيشومه، **ومنهم** من يفرقع بأصابعه، **ومنهم** من يتمايل من جنب إلى جنب، **ومنهم** من يتثاءب ولا يكظم بل يخرج صوتًا منكرًا، **ومنهم** من يعبث بساعته، **ومنهم** من يتشاغل بتعديل عباءته ومشلحه أو ثوبه، ويتكرر ذلك منه بلا حاجة .

وكلُّ هذه الأفعال تدل على أن هذا المصلي قد التفت قلبُه عن الله تعالى، وأن جسمه موجود مع المصلين، ولكن قلبه يجول في كل واد، وهذا يدل على فقدان الخشوع في الغالب، وهذا مصداق ما ورد في الحديث: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَوَّلِ ذَلِكَ يُرْفَعُ؟، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: الْخُشُوعُ حَتَّى لَا تَرَى خَاشِعًا**»(١).

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب العلم، كَيْفَ يُرْفَعُ الْعِلْمُ، رقم: (٥٨٧٨). وصححه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

والخشوع ـ يا أخي المسلم ـ هو: لب الصلاة وروحها، والصلاة بلا خشوع كالجسد بلا روح؛ **لذلك ينبغي**:

١ ـ إذا أقبل إلى المسجد يريد الصلاة، أن يقبل بخوف و وَجَلٍ وخشوعٍ وخضوعٍ، وأن تكون عليه السكينة والوقار إذا جاء إلى المسجد، فما أدركً صلى، وما فاته قضى، ولا بأس أن يسرع قليلا إذا طمع أن يدرك التكبيرة الأولى.

٢ ـ إذا دخل في الصلاة، فليحذر من الالتفات.

٣ ـ إذا سجد، فليضع أصابعه ـ يديه ـ حذو أذنيه، ويضم أصابعه، ويوجهها نحو القبلة، ويرفع مرفقيه وساعديه ولا يلزقهما بجنبيه، فقد ثبت في الصحيحين: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى فَرَّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَبْدُوَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ**»(١).

فالمصلي إنما يقف بين يدي أحكم الحاكمين ورب العالمين، ويجب أن يكون على أحسن حال، وأحسن هيئة بأن يقف بأدب وخضوع وخشوع، واستحضار لعظمة الله، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف:٣١] أي: عند كل صلاة، فأمر الله المصلي أن يكون على هيئة حسنة.

أرأيت أخي المسلم ـ ولله تعالى المثل الأعلى ـ: لو وقف إنسان بين يدي ملك، أو رئيس، أو أمير، أو وزير، لوقف على أحسن حاله وهيئته، في: لباسه، وأدبه، وخشوعه، وحركاته، وسكناته؛ فالله سبحانه أعظم من كل مخلوق، وكل مخلوق فقير إليه، وكل الخلائق في قبضته وتحت تصرفه، «**وقُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ**

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، بَابُ يُبْدِي ضَبْعَيْهِ وَيُجَافِي فِي السُّجُودِ، رقم: (٣٩٠)، ومسلم: كتاب الصلاة، رقم: (٤٩٥).

الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، كما ورد بذلك الحديث عن النبي ﷺ[(١)].

- **فالمصلي واقف بين يدي الله ﷻ**:

يرجو رحمته، ويخشى عقابه، ويستلهم الرشد منه، ويسأله في كل ركعة من ركعات الصلاة أن يرشده ويدله، ويثبته على الصراط المستقيم؛ وذلك في قراءته لفاتحة الكتاب: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦].

كما يسأله أن يُجَنِّبَه طريقَ المغضوب عليهم؛ وهم كل من علم ولم يعمل بعلمه، ويدخل في ذلك اليهود دخولاً أوليًا.

ويسأله أن يُجَنِّبَه طريقَ الضالين؛ وهم كل من عبد الله ﷻ على جهل وضلال، ويدخل في ذلك النصارى دخولا أوليًا ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧].

- **فالخشوع في الصلاة بمنزلة الروح للجسد**؛ فكما أن الجسد لا بقاء له بدون الروح، فكذلك الصلاة لا فائدة فيها بدون خشوع؛ وقد ورد في الحديث: **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا: عُشْرُ صَلَاتِهِ، تُسْعُهَا، ثُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدْسُهَا، خُمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا»**[(٢)]، على حسب ما عقل من صلاته؛ وجاء في الأثر: **«يُكْتَبُ لِلرَّجُلِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا عَقِلَ مِنْهَا»**[(٣)].

فالناس يتفاوتون في صلاتهم تفاوتًا عظيمًا، فقد يصلي الرجلان أحدهما بجانب الآخر، وبين صلاتهما كما بين السماء والأرض؛ هذا

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الْقَدَرِ، رقم (٢٦٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة،بَابُ مَا جَاءَ فِي نُقْصَانِ الصَّلَاةِ، رقم: (٧٩٦).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن سفيان الثوري (٧/ ٦١).

وقف بين يدي الله تعالى مخبتًا، متواضعًا لربه، مخلصا، راغبا، راهبا؛ قد أقام صلاته بحدودها، وهيئاتها، وشروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها؛ والآخر وقف بين يدي الله تعالى بجسمه لا بقلبه، وغفل عن مقصود الصلاة، ولم يقمها كما أمره الله ﷻ، قد أخل بخشوعها، وسها عن صلاته، فأخلّ ببعض واجباتها أو مستلزماتها، فلذلك صار هذا البون الشاسع بين صلاتهما.

فالصلاة أعظم صلة ورابطة تصل المسلم بربه، وبارئه، وفاطره، وخالقه سبحانه.

وهي تحدد العهد والميثاق بين العبد وبين ربه، وهذا أحد الموقفين بين يدي الله ﷻ؛ **وذلك أن المسلم له موقفان بين يدي الله تعالى**:

موقف في الدنيا وموقف في الآخرة؛ فالموقف الذي في الدنيا هو موقف العبد بين يدي الله تعالى في الصلاة، والموقف الذي في الآخرة موقفه بين يديه للحساب.

فمن أحسن في الموقف في صلاته الذي بين يدي ربه في الدنيا؛ بأن وقف خاشعًا، ذليلا، مخلصًا، وجلا، راغبًا راهبًا، متّبعًا لهدي رسول الله ﷺ على أحسن حالة وهيئة، كما أمره الله تعالى، **سُهل عليه الموقف الثاني بين يدي الله تعالى للحساب**، فكان عليه سهلًا يسيرًا.

ومن أساء في هذا الموقف الذي في الدنيا، ولم يقم صلاته كما أمره الله تعالى، **شُدِّدَ عليه الموقف بين يدي الله تعالى للحساب**، فكان عليه شديدًا عسيرًا.

وما ذاك إلا لأن الصلاة مع الخشوع: تزكي صاحبها، وتهذّب نفسه، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر، وتأمره بالخلق الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وسبب ذلك: الإخلاص في هذه العبادة العظيمة، والرغبة الصادقة فيما عند الله تعالى من ثواب، والرهبة لما عنده من عقاب، وحضور القلب فيها، حيث يتواطأ القلب واللسان على ما ينطق به اللسان، أو تسمعه الأذن من كتاب الله تعالى الذي هو هداية للمتقين، أو تسبيح، أو تحميد، أو ذكر في ركوعه، وسجوده، وقيامه، وقعوده.

فهؤلاء هم الذين تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر، حيث عرفوا الله ﷻ وقدروه حق قدره، فخافوا سطوته وعقابه فخضعوا وخشعوا، وأخبتوا له، وأجَلُّوه، وعَظَّموه، فسكنت قلوبهم وجوارحهم في صلاتهم، وهذا معنى ما ورد في الأثر: «**لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا خَشَعَتْ جَوَارِحَهُ**».

أما كون كثير من المصلين لا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر، مع أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، والله أصدق القائلين: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء:١٢٢].

فالسر في ذلك: أن هؤلاء المصلين إنما أُتوا من قبل أنفسهم، حيث أنهم لم يأتوا بها كما أُمروا من الإقامة لها، والخشوع والطمأنينة فيها، والإتيان بشروطها وواجباتها وأركانها ومستلزماتها، بل أتوا بها صورة لا حقيقة، وشتان ـ عند ذوي العقول والفطر السليمة ـ بين الصورة والحقيقة.

ولو كان الإتيان بالصلاة صورة يؤدي الثمرة المرجوة، ويُسقط اللوم والذم والعقوبة عن صاحبها، لما توعد الله تعالى المصلي مع السهو بالويل، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون:٤-٥].

ولو كان الإتيان بالصلاة صورة ينفع، لنفعت المنافقين الذين يصلون مع أشرف الخلق محمد رسول الله ﷺ، لكنهم في الدرك

الأسفل من النار؛ لأنهم لم يصلوا عن إيمان وإخلاص ورغبة ورهبة، ولم تنشرح صدورهم لها، ولذلك لا يطمئنون فيها، ولا يكثرون من ذكر الله ﷻ فيها، ولا يُقبلون عليها بقلوبهم؛ بل يأتونها بتثاقل وكسل، ومراءاة للناس، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢].

وكما وصف النبي ﷺ صلاة المنافقين في قوله: «**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**»(١).

- **ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فإنه لا يزداد بها من الله تعالى إلا بُعدًا**؛ ذلك أن الخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، فحينئذ تكون راحة له، وقرة عين؛ كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه النسائي(٢)، عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**». وقال النبي ﷺ لبلال: «**قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ**»(٣).

من لوازم الخشوع في الصلاة:

الطمأنينة فيها، وعدم العجلة والسرعة، ومن أجل هذا علّق الله سبحانه وتعالى الفلاح بخشوع المصلي في صلاته؛ ويستحيل حصول الخشوع مع العجلة، والنقر في الصلاة، بل لا يحصل الخشوع إلا مع الطمأنينة، **وكلما زاد المصلي طمأنينة زاد خشوعًا**؛ وكلما قلّ خشوعه اشتدت

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم: (٦٢٢).
(٢) أخرجه النسائي: كِتَابُ عِشْرَةِ النِّسَاءِ، بَابُ حُبِّ النِّسَاءِ، رقم: (٣٩٣٩).
(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، بَابٌ فِي صَلَاةِ الْعَتَمَةِ، رقم: (٤٩٨٦).

عجلته، حتى تصير حركات بدنه بمنزلة العبث الذي لا يصحبه خشوع، ولا إقبالٌ على العبادة، ولا معرفةٌ لحقيقة العبودية.

- **والمطلوب من المصلي إقامة الصلاة**؛ ولهذا فإنك لا تكاد تجد ذكر الصلاة في موضع من القرآن إلا مقرونًا بإقامتها؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣]، ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة:٥٥]، ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٣]، ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [إبراهيم:٤٠]، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه:١٤].

فالمصلون من الناس قليل، والمقيم للصلاة منهم أقل القليل.

وهناك بون شاسع، وفرق عظيم بين من تكون الصلاة ربيعًا لقلبه، وحياة له، وراحة، وقرة لعينة، وجلاء لحزنه، وذهابًا لهمّه وغمِّه، ومفزعًا له في نوائبه ونوازله، **وبين من تكون الصلاة مسرحًا لقلبه يتجوّل فيها إلى حيث شاء من أمور دنياه**، وملذاته، وشهواته، وقيدًا لجوارحه، وتقليفًا له، وثقلا عليه، وكأنه في صلاته طائر في قفص، فهي كبيرة وشاقة عليه. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة:٤٥-٤٦]. **وإنما كَبُرت عليهم**: لخلو قلوبهم من محبة الله تعالى وتكبيره وتعظيمه، والخشوع له، وقلة رغبتهم فيما عند الله تعالى؛ **فإن حضور قلب العبد في الصلاة، وخشوعه فيها، وتكميله لها، واستفراغه وسعه في إقامتها وإتمامها: على قدر رغبته في الله تعالى.**

قال الإمام أحمد رحمه الله في رواية مهنا بن يحيى: (**إنما حظهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة**)(١).

(١) انظر: طبقات الحنابلة: (١/ ٣٥٤).

وليس حظ القلب العامر بمحبة الله تعالى، وخشيته، والرغبة فيه، وإجلاله، وتعظيمه، من الصلاة كحظ القلب الخالي من ذلك.

ولقد مدح الله سبحانه في كتابه المخبتين له، والمنكسرين لعظمته، والخاضعين والخاشعين له، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ووصف المؤمنين بالخشوع له في أشرف عبادتهم، وهي الصلاة التي عليها يحافظون؛ فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١-٢].

ووصف الذين أوتوا العلم بالخشوع حينما يسمعون كلامه يتلى عليهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

- **وأصل الخشوع هو**: لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء؛ لأنها تابعة له، كما قال ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**»(١).

فإذا خشع القلب خشع السمع والبصر والوجه وسائر الأعضاء، وما ينشأ منها، حتى الكلام؛ ولهذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه في الصلاة: «**اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي**»(٢).

ورأى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، رَجُلًا عَبَثَ فِي صَلَاتِهِ، فَقَالَ: «**لَوْ خَشَعَ**

(١) متفق عليه أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، بَابُ فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ رقم: (٥٢)، ومسلم: كتاب المساقاة، رقم: (١٥٩٩)

(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، رقم: (٧٧١).

قَلْبُ هَذَا خَشَعَتْ جَوَارِحَهُ»[(١)].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون:٢]، قال: «**الخشوعُ: خشوعُ القلبِ**»[(٢)] وقال: «**لَا تَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِك، وَإِنْ لَمسَ كَتِفَيْكَ الرَّجُلُ الْمُسْلِم**»[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: «**خَائِفُونَ سَاكِنُونَ**»[(٤)].

وقال الحسن: «**كَانَ خُشُوعُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ، فَغَضُّوا بِذَلِكَ أَبْصَارَهُمْ، وَخفَضُوا الْجَنَاحَ**»[(٥)].

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠]، قال: «**مُتَوَاضِعِينَ**»[(٦)].

فالقلب إذا خشع تسكن خواطره وإرادته الرديئة الناشئة عن اتباع الهوى، وينكسر وينخضع لله تعالى، فيزول بذلك ما كان فيه من التعاظم والترفع والتكبّر؛ ومتى سكن ذلك في القلب خشعت الأعضاء والجوارح والحركات كلها، حتى الصوت، كما قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ۝١٠٨﴾ [طه:١٠٨].

- **ومتى تكلف الإنسان تعاطي الخشوع** في جوارحه وأطرافه مع فراغ قلبه من الخشوع، وخلوه منه، كان ذلك خشوع نفاق، وقد استعاذ السلف منه، كما قال أَبو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ، قَالَ: قِيلَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ أَنْ تَرَى**

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٨٨).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤١٢).
(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٩).
(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٨).
(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٧١) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

الْجَسَدَ خَاشِعًا وَالْقَلْبَ لَيْسَ بِخَاشِعٍ»[١].

ونَظَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه إِلَى شَابٍّ قَدْ نَكَّسَ رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ: **«يَا هَذَا! ارْفَعْ رَأْسَكَ؛ فَإِنَّ الْخُشُوعَ لا يَزِيدُ عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ»**[٢].

فمن أظهر خشوعًا غير ما في قلبه: فإنما هو نفاق على نفاق.

- **وينشأ الخشوع في القلب من معرفة الله تعالى**، ومعرفة عظمته وجلاله وكماله، **فمن كان بالله تعالى أعرف فهو له أخشع**؛ ويتفاوت الخشوع في القلوب بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له.

والله سبحانه يجبر القلوب المنكسرة من أجله، ويَقْرُب ممن يناجيه في الصلاة ويعفر وجهه في التراب بالسجود؛ كما يقرب من عباده الداعين له، السائلين له، المستغفرين من ذنوبهم في الأسحار، فيجيب دعاءهم، ويعطيهم سؤلهم.

ومن الخشوع في الصلاة: وضع اليمين على اليسار على الصدر في الصلاة تذللا لله تعالى، وسُئل الإمام أحمد رحمه الله عن ذلك، فقال: **(هو ذلّ بين يدي عزيز)**[٣].

وعلى المصلي - حينئذ - **أن يتذكر وقوفه بين يدي الله تعالى يوم القيامة للحساب، فيلتزم**: عدم التفات القلب إلى الشواغل والهواجس بقدر المستطاع، وعدم التفات الوجه إلى اليمين أو الشمال، وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة، قال: **«هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ العَبْدِ»**[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٤٣/ ٣٥٧١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٢٢٠/ ٦٥٦٧).

(٢) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٤/ ٤٧٤) وهو في الحلية (٧/ ٧١).

(٣) انظر: الخشوع في الصلاة، لابن رجب، ص (٢١).

(٤) سبق تخريجه.

وفي حديث أبي ذر ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَا يَزَالُ اللَّهُ** ﷻ **مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ، وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا الْتَفَتَ انْصَرَفَ عَنْهُ**»(١).

وفي حديث الحارث الأشعري ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «**فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ**»(٢).

ولا تنس - أيها المسلم - ما في الركوع والسجود من تعظيم الله تعالى قولًا وفعلًا؛ كقولك في الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى؛ فليكن قلبك مع لسانك، فَتَذْكر الله تعالى بقلبك ولسانك وجوارحك؛ إذ تنحني لله تعالى في الركوع، وتضع أشرف أعضاء بدنك وهو الوجه على الأرض لله تعالى في السجود، فكن حاضر القلب في هذه الأعمال، فالله تعالى لا يقبل إلا من قلب مقبل منيب، لا من ساهٍ لاهٍ غافلٍ.

وفقنا الله لسلوك صراطه المستقيم، وثبتنا عليه حتى يأتينا اليقين، إنه على كل شيء قدير.

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، بَابُ الِالْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ، رقم: (٩٠٩)، والنسائي: كتاب السهو، بَابُ التَّشْدِيدِ فِي الِالْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ، رقم: (١١٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي: أبواب الأدب، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَثَلِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ، رقم: (٢٨٦٣)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ».

الصفة الرابعة
المحافظة على الصلاة

إن من صفات المؤمنين الظاهرة: المحافظة على الصلاة وقد جعل الله سبحانه المحافظة على الصلاة من أسباب نيل الفردوس، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ٩-١١].

وقد استثنى الله تعالى في سورة المعارج المصلين من الهلعين الجزعين المانعين للخير، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ١٩-٢٣]. ثم ختم أوصافهم بالمحافظة على الصلاة، ووعدهم على ذلك الإكرام في الجنات، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ٣٤-٣٥].

ومن أجل ذلك أمر الله تعالى بالمحافظة عليها في قوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وذم سبحانه وتوعد من لم يحافظ عليها في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: ٤-٥].

وقال تعالى في ذم المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال تعالى أيضًا فيهم: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ

﴿كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة: ٥٤].

فهذه الآيات كلها تتوعد من أضاع الصلاة، واتبع الشهوات، وتهدده بالغي وبالويل، وتبين أن إضاعتها، والتكاسل عنها من صفات المنافقين لا المؤمنين.

وصرحت الآيات، أن من صفات المؤمنين: المحافظة عليها، وإدامتها، وإقامتها والخشوع فيها؛ **ولكن ما المراد بالمحافظة على الصلاة؟**

الجواب: المحافظة عليها تشمل: إتمام أركانها، وشروطها، وسننها؛ وتشمل فعلها في أوقاتها مع الجماعات في المساجد.

وقد فسر بعض السلف المحافظة على الصلاة بالمحافظة على الأوقات، أي: المواظبة عليها في مواقيتها.

وتوجيه هذا أنه تفسير للكل بالبعض؛ إذ أن المحافظة على الصلاة تشمل مراعاة أوقاتها، وتشمل إتمام أركانها وشروطها، وتشمل مراعاة الجماعات في المساجد.

وقد وردت أدلة فضل المواظبة على الصلاة في مواقيتها، فمن ذلك: ما ورد في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**»(١)، الحديث.

كما وردت أدلة كثيرة في الترهيب من تأخير الصلاة عن وقتها؛ من ذلك: ما ورد عنه ﷺ أنه قال: «**الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ العَصْرِ، كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ**»(٢) وقوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ الصَّلَاةِ لِوَقْتِهَا، رقم: (٥٢٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم: (٨٥).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ إِثْمِ مَنْ فَاتَتْهُ العَصْرُ، رقم: (٥٥٢)، ومسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم: (٦٢٦).

صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون:٤-٥]. وقد فسر أصحاب رسول الله ﷺ السهو عنها بأنه تأخيرها عن وقتها، كما ثبت ذلك عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وفيه حديث مرفوع(١).

وقد وردت أدلة في الترهيب من تأخيرها عن وقتها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم:٥٩]. وقد فسّر بعض السلف إضاعتها بتفويت وقتها(٢) **والتحقيق** أن إضاعتها تشمل: تأخير وقتها وتركها بالكلية، وترك واجباتها، وأركانها.

والله سبحانه قد جعل لكل صلاة وقتًا محدود الأول والآخر، ولم يأذن في فعلها قبل دخول وقتها، ولا بعد خروج وقتها؛ والصلاة في الوقت واجبة على كل حال؛ حتى أنه يترك جميع الواجبات والشروط لأجل الوقت، فإذا عجز عن الوضوء، أو استقبال القبلة، أو طهارة الثوب والبدن، أو ستر العورة، أو قراءة الفاتحة، أو القيام في الوقت، وأمكنه أن يصلي بعد الوقت بهذه الأمور، فصلاته في الوقت بدونها هي التي شرعها الله ﷻ وأوجبها.

وليس له أن يؤخر الصلاة بعد الوقت لأجل أن توجد هذه الشروط والأركان، فعلم بهذا أن الوقت مقدم عند الله تعالى ورسوله ﷺ على جميع الواجبات؛ وهو داخل في المحافظة على الصلاة.

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢/ ٣٠٤/ ٣١٦٣)، والبزار في مسنده (٣/ ٣٤٤)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣٧٧/ ٢٢٧٦) بلفظ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون:٥] فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَهَا عَنْ وَقْتِهَا».

(٢) هذا القول مروي عن الْقَاسِمِ بْنِ مُخَيمِرة وهو قول إبراهيم، وسعيد بن المسيب، وعمر بن عبدالعزيز، انظر: تفسير ابن جرير (١٦/ ٩٩) المحرر الوجيز (٩/ ٤٩٣) زاد المسير (٥/ ٢٤٥) تفسير القرطبي (١١/ ١٢٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٤٣) الدر المنثور (٥/ ٥١٨-٥١٩).

ويدخل في المحافظة عليها: فعلها جماعة في المسجد؛ فقد وردت أدلة كثيرة على وجوب الجماعة، فمن ذلك:

١ ـ ما ورد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أن عبدالله بن أم مكتوم ﷺ ـ وكان رجلاً أعمى ـ، أنه جاء إلى النبي ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ، فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى، دَعَاهُ، فَقَالَ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَجِبْ**»[(١)].

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ أمره مع العمى والعذر الشديد، بإجابة النداء وحضور الجماعة، ولو كان لأحد عذر في التخلف، لرخص ـ عليه الصلاة والسلام ـ لهذا الشيخ ضعيف البدن، ضرير البصر، شاسع الدار، الذي بينه وبين المسجد نخل وواد.

٢ ـ قوله ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ، إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**»[(٢)].

٣ ـ أن الله تعالى أوجبها في صلاة الخوف، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

وجه الدلالة: أن الله ﷻ أمر بالصلاة في الجماعة مع الخوف، ثم أعاد هذا الأمر مرة ثانية في حق الطائفة الثانية بقوله: ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢].

وفي هذا دليل على أن الجماعة فرض على الأعيان؛ إذ لم يسقطها الله سبحانه عن الطائفة الثانية بفعل الأولى، ولو كانت الجماعة

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم: (٦٥٣).
(٢) أخرجه ابن ماجه: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَالْجَمَاعَاتِ، بَابُ التَّغْلِيظِ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجَمَاعَةِ، رقم: (٧٩٣).

فرض كفاية لسقطت بفعل الطائفة الأولى، ولو كانت الجماعة سنة لكان أولى الأعذار بسقوطها عذر الخوف.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

وجه الدلالة: أن الله تعالى عاقبهم يوم القيامة، بأن حال بينهم وبين السجود لما دعاهم إلى السجود في الدنيا فأبوا أن يجيبوا الداعي.

وقد قال غير واحد من السلف في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾: «**الرَّجُلُ يَسْمَعُ الْأَذَانَ فَلَا يُجِيبُ الصَّلَاةَ**»(١)، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: «**كَانُوا يَسْمَعُونَ حي على الصلاة حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ فَلَا يُجِيبُونَ**»(٢).

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣].

وجه الدلالة: أن الله تعالى أمر بالركوع وهو الصلاة، عبّر عنها بالركوع؛ لأنه من أركانها، ولا بد أن يكون لقوله تعالى: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ من فائدة أخرى زيادة على الأمر بالصلاة، وليست إلا فعلها مع جماعة المصلين، كما تفيده المعيّة.

٦ ـ ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ، فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ، أَنَّهُ**

(١) انظر: شعب الإيمان (٤/ ٣٦٦).
(٢) أخرجه البغوي في تفسيره (٨/ ٢٠٠).

يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ، لَشَهِدَ الْعِشَاءَ»(١).

٧ ـ وفيهما من حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**»(٢).

وفي مسند الإمام أحمد ﵀، أن النبي ﷺ قال: «**لَوْلَا مَا فِي الْبُيُوتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالذُّرِّيَّةِ، لَأَقَمْتُ الصَّلَاةَ، صَلَاةَ الْعِشَاءِ، وَأَمَرْتُ فِتْيَانِي يُحْرِقُونَ مَا فِي الْبُيُوتِ بِالنَّارِ**»(٣).

وهذا الوعيد الشديد لا يكون إلا على ترك واجب، فدل على وجوب الجماعة.

٨ ـ حديث أبي سعيد الخدري ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَحَدُهُمْ، وَأَحَقُّهُمْ بِالْإِمَامَةِ أَقْرَؤُهُمْ**»(٤) فأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالجماعة، وأمره للوجوب.

٩ ـ أمره ﷺ من صلى وحده خلف الصف أن يعيد الصلاة، كما في حديث وابصة بن معبد ﵁: أن رسول الله ﷺ: «**رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي خَلْفَ الصَّفِّ وَحْدَهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يُعِيدَ الصَّلَاةَ**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ وُجُوبِ صَلَاةِ الجَمَاعَةِ، رقم: (٦٤٤)، ومسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم: (٦٥١).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ فَضْلِ العِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ، رقم: (٦٥٧)، ومسلم واللفظ له: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم: (٦٥١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: رقم: (٨٧٩٦).

(٤) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم: (٦٧٢).

(٥) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، بَابُ الرَّجُلِ يُصَلِّي وَحْدَهُ خَلْفَ الصَّفِّ، رقم: (٦٨٢)، والترمذي: أبواب الصلاة، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّلَاةِ خَلْفَ الصَّفِّ وَحْدَهُ، رقم: (٢٣٠)، وابن ماجه: كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ صَلَاةِ الرَّجُلِ خَلْفَ الصَّفِّ وَحْدَهُ، رقم: (١٠٠٤).

١٠ ـ حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»**(١).

وجه الدلالة: أن الرسول ﷺ أخبر باستحواذ الشيطان عليهم بترك الجماعة التي شعارها الأذان وإقامة الصلاة.

وقد وردت آثار عن الصحابة رضي الله عنهم تدل على وجوب الجماعة؛ من ذلك:

١ ـ جاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال: **أنه فقد رجلا فِي الصلاة فأتى منزله، فصوت به، فخرج الرجل، فقال: ما حبسك عَنِ الصلاة؟ قَالَ: علة يا أمير المؤمنين، ولولا أني سمعت صوتك ما خرجت أو قَالَ: ما استطعت أن أخرج، فقال عُمَر: (لقد تركت دعوة من هو أوجب عليك إجابة مني منادي اللّه إلى الصلاة)**(٢).

٢ ـ وجاء عن عمر رضي الله عنه أنه فقد أقواما فِي الصلاة، فقال: **«ما بال أقوام يتخلفون عَنِ الصلاة، فيتخلف لتخلفهم آخرون، ليَحْضُرُنَّ المسجد، أو لأبعثن إليهم من يجأ فِي رقابهم، ثم يقول: احضروا الصلاة احضروا الصلاة»**(٣).

٣ ـ ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه **«وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»**(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، بَابٌ فِي التَّشْدِيدِ فِي تَرْكِ الْجَمَاعَةِ، رقم: (٥٤٧)، والنسائي: كِتَابُ الْإِمَامَةِ، التَّشْدِيدُ فِي تَرْكِ الْجَمَاعَةِ، رقم: (٨٤٧).
(٢) انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣٧٦).
(٣) المرجع السابق.
(٤) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم: (٦٥٤).

٤ ـ ما رُوي عن علي رضي الله عنه، قال: «**لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ**». قِيلَ: وَمَنْ جَارُ الْمَسْجِدِ؟ قَالَ: «**مَنْ أَسْمَعَهُ الْمُنَادِي**»(١).

٥ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ فَلَمْ يُجِبْ لَمْ يُرِدْ خَيْرًا، أَوْ لَمْ يُرَدْ بِهِ**»(٢).

٦ ـ وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ رَجُلٍ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ، لَا يَشْهَدُ جُمْعَةً وَلَا جَمَاعَةً؟ فَقَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**»(٣).

ومن أدلة وجوب الجماعة: الأخبار المذكورة في أبواب الرخصة في التخلف عن الجماعة لأصحاب الأعذار، كالمريض، والخائف على نفسه أو ماله، فإنها تدل على فرض الجماعة على من لا عذر له، ولو كان حال العذر وغير حال العذر سواء لم يكن للترخيص للمعذور معنىً.

وقد وردت أدلة كثيرة في فضل الجماعة؛ من ذلك:

١ ـ ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**صَلَاةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**»(٤).

٢ ـ ما جاء في صحيح مسلم، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ**»(٥).

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٣/ ٢٤٩/ ٥٥٩١)، وقال: ضعيف.
(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٣/ ٨١/ ٤٩٤١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٠٣/ ٣٤٦٦).
(٣) أخرجه الترمذي: أبواب الصلاة، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَا يُجِيبُ، رقم: (٢١٨).
(٤) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الجَمَاعَةِ، رقم: (٦٤٥)، ومسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم: (٦٥٠).
(٥) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم: (٦٥٦).

فكل هذه الأدلة تدل على وجوب الجماعة، وعلى فضلها، وأن فضل الصلاة جماعة في المسجد داخل في المحافظة على الصلاة، **فحافظ عليها أيها المسلم وأدِّها في وقتها جماعة في المسجد**؛ لتفوز بما وعد الله تعالى به المحافظين على صلواتهم من الثواب العظيم، وهو وراثة الفردوس والإكرام في الجنات؛ ولتسلم من التبعة والعقوبة، **فإن الصلاة**: عمود الدين، وهي مقياس دين المرء، فمن حفظها فهو لما سواها أحفظ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، وهي الفارقة بين الإسلام والكفر، وهي أول ما يحاسب الإنسان عنها بعد الشهادتين، رزقنا الله المحافظة عليها والاهتمام بها.

الصفة الخامسة

حفظ الفروج

إن من صفات المؤمنين المفلحين: حفظ الفروج من اللواط والزنا، ونحو ذلك، وقد أخبر الله تعالى في كتابه أن حفظ الفروج من صفات المؤمنين المفلحين، الذين يرثون الفردوس ويخلدون فيها، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ [[المؤمنون: ٥] ثم قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١٠-١١].

وأثنى سبحانه على المؤمنين في اتصافهم بأوصاف منها حفظ فروجهم، وأخبر أنهم يدخلون الجنات يكرمون فيها بالنعيم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٢٩﴾ [المؤمنون: ٥]. ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج: ٣٥].

وبيَّن الله تعالى في كتابه الكريم أن حفظ الفروج لا يلزم المؤمنين عن نسائهم اللائي ملكوا الاستمتاع بهن بالزواج، أو بملك اليمين؛ وهو التمتع بالسراري؛ وبيَّن سبحانه أن من لم يحفظ فرجه عن زوجته أو سُرِّيَّتِهِ لا لوم عليه، وأن من ابتغى تمتعًا بفرجه وراء ذلك غير الأزواج والمملوكات، فهو من المعتدين المتعدّين حدود الله تعالى، المجاوزين ما أحله الله تعالى إلى ما حرمه، فقال تعالى في سورتين من كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾.

إن الزنا ليس من صفة المؤمنين؛ لأنه ينافي حفظ الفروج الذي

أخبر الله ﷻ أنه من صفة المؤمنين المفلحين، ولذلك حرَّمه الإسلام، ونهى الله تعالى عباده عنه وعن مقاربته، ومخالطة أسبابه ودواعيه، وبيَّن أنه فاحشة، وأنه بئس الطريق والمسلك، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

وسماه الله تعالى فاحشة أي: إثمًا يُستفحش في الشرع والعقل والفطر؛ وما ذاك إلا لتضمنه التجرُّؤ على المحرمات في حق الله تعالى، وفي حق المرأة، وفي حق أهلها، أو زوجها، وإفساد الفراش، واختلاط الأنساب؛ وغير ذلك من المفاسد؛ ولذلك يقول سبحانه: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ أي: بئس السبيل سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم.

ولقبح هذا الذنب وعظمه وشناعته وبشاعته قرنه الله بالشرك وقتل النفس، وأثنى على عباده في بعدهم عن هذه القبائح الثلاث: الشرك والقتل والزنا، وتوعد سبحانه من فعل ذلك بالحصول على الإثم ومضاعفة العذاب، فقال في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠] الآية.

إن جريمة الزنا تنافي هذه الصفة الحميدة؛ لأن الزنا رذيلة تدنس عرض صاحبها، وعرض من قارفها ومازجها، ولذلك حرّم الله تعالى على المؤمن أن ينكح زانية، وعلى المؤمنة أن تنكح زانيًا، إلا أن يتوبوا، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣]؛ إذ الظالم يحشر مع زوجه، كما قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] أي: قرناءهم، ومقارنة الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها أشد الاقترانات والازدواجات.

فحرم الله تعالى الزنا لما فيه من الشر العظيم، ولما فيه من قلة

الغيرة، وإلحاق الأولاد الذين ليسوا من الزوج، وكون الزاني لا يعفَّها بسبب اشتغاله بغيرها، وبعض هذا كاف في التحريم؛ وقد نفى الله ﷻ الإيمان عن الزاني في قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [النور:٣] أي: حرم نكاح الزاني والزانية، فلو كان مؤمنا بالله تعالى حقا، لم يقدم على ذلك؛ وفي هذا دليل على أن الزاني ليس مؤمنا حقًا.

ويؤيد هذا الحديث الصحيح عن النبي ﷺ إنه قال: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١). فالزاني وإن لم يكن مشركًا، لكن لا يطلق عليه اسم المدح الذي هو الإيمان المطلق.

والزنا من أعظم الذنوب وأفحشها فهو من الكبائر العظيمة، وفي الحديث: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ بَعْدَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ، نُطْفَةٍ وَضَعَهَا رَجُلٌ فِي رَحِمٍ لَا تَحِلُّ لَهُ**»(٢).

وقد عالج الإسلام نَزْعة حب الزنا، والتطلع إليه بتصوير الإنسان المتطلع إليه لكراهته للزنا لو وقع على إحدى محارمه، فعن أبي أمامة رضي الله عنه إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ ﷺ: «**ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا**». قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «**أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟**» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟**» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟**» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**».

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ، رقم: (٢٤٧٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم: (٥٧).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الورع (١/ ٩٤/ ١٣٧).

قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**»؛ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ(١).

وقد عظم الله تعالى أمر الزنا، فأمر بجلد الزاني، كما جاءت السنة برجم الزاني إذا كان محصنا، **فإن الزاني لا يخلو**:

إما أن يكون بكرًا، وهو الذي لم يتزوج.

وإما أن يكون محصنًا، وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح، وهو حر بالغ عاقل.

فإن كان الزاني بكرًا، فإن حده مائة جلدة، كما قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ﴾ [النور: ٢]. ويزاد على ذلك أن يغرَّب عامًا.

وإن كان الزاني محصنًا فإنه يرجم بالحجارة حتى يموت، كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁، وزيد بن خالد الجهني ﵁ في الأعرابيين الذين أتيا رسول الله ﷺ فقال أحدهما يا رسول الله إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، فَقَالُوا لِي: عَلَى ابْنِكَ الرَّجْمُ، فَفَدَيْتُ ابْنِي مِنْهُ بِمِائَةٍ مِنَ الغَنَمِ وَوَلِيدَةٍ، ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ العِلْمِ، فَقَالُوا: إِنَّمَا عَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، أَمَّا الوَلِيدَةُ وَالغَنَمُ فَرَدٌّ عَلَيْكَ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُنَيْسُ لِرَجُلٍ فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَارْجُمْهَا**»، فَغَدَا عَلَيْهَا أُنَيْسٌ فَرَجَمَهَا(٢).

وفي هذا دليل تغريب الزاني مع جلد مائة إن كان بكرًا لم يتزوج، وعن عبادة بن الصامت ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خُذُوا عَنِّي،**

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٢١١).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الصُّلْحِ، بَابُ إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، رقم: (٢٦٩٥)، ومسلم: كِتَابُ الْحُدُودِ، رقم: (١٦٩٧)

خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ»(١).

وقد رجم النبي ﷺ ماعزاً، والغامدية رضي الله عنهما، وقد أمر الله تعالى بإقامة الحد على الزانيين، ونهانا أن تأخذنا بهما رأفة في دين الله تمنعنا من إقامة الحد عليهما، وبين أن الإيمان موجب لانتفاء هذه الرأفة المانعة من إقامة أمر الله تعالى، وأمر أن يحضر عذاب الزانيين جماعة من المؤمنين ليشتهر ويحصل بذلك الخزي والارتداع؛ إذ أن ذلك أبلغ في زجرهما، وأنجع في ردعهما. فإن في ذلك تقريعًا وتوبيخًا وفضيحة، إذا كان الناس حضورًا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور: ٢].

أسأل الله سبحانه أن يوفقنا لحفظ فروجنا عما حرم، لنكون في عداد المؤمنين المفلحين الموعودين بالكرامة والخلود في الفردوس، إنه على كل شيء قدير.

❖ ❖ ❖

إن الله عز وجل أثنى على المؤمنين في حفظهم لفروجهم، ومن أعظم ما يضاد هذه الصفة وينافيها: الزنا؛ لما فيه من المفاسد والشرور والآثام والجنايات العظيمة الكثيرة منها:

١ ـ الزنا جريمة خلقية تهدم الأخلاق الفاضلة، وتقضي عليها.

٢ ـ الزنا جريمة تذهب الغيرة الدينية.

٣ ـ الزنا جريمة تذهب بالحياء وماء الوجه.

٤ ـ الزنا جريمة مستفحشة شرعًا وعقلًا وفطرة.

٥ ـ الزنا تجرُّؤ على حرمات الله، واعتداء على حقوقه.

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْحُدُودِ، رقم: (١٦٩٠).

٦ ـ الزنا جناية على الزوج وانتهاك لحرمته.

٧ ـ الزنا جناية على الزوجة لما فيه من إلصاق العار بها، وعدم إعفاف الزاني لها.

٨ ـ الزنا فيه إفساد لفراش الزوج.

٩ ـ الزنا جناية على الإسلام لما فيه من الاستخفاف به، وإيجاد أولاد غير شرعيين.

١٠ ـ الزنا جناية على المسلمين لما فيه من إيجاد البغضاء والأحقاد وزرعها فيما بينهم، ولما فيه من اختلاط الأنساب.

١١ ـ الزنا جناية على أهل الزوجة لما فيه من لحوق العار بهم.

١٢ ـ الزنا جناية على أقارب الزوج لما فيه من تشويه سمعتهم وخدش كرامتهم، ومن أجل هذه الشرور والآثام والجنايات حرم الإسلام فاحشة الزنا، وتوعد صاحبها بوعيد شديد في الآخرة وعاقبه في الدنيا بأشد عقوبة وأعظمها، حيث أمر بقتله أشنع قتلة إن كان محصنًا، وذلك بأن يرجم بالحجارة حتى يموت ليصل الألم إلى كل جزء من أجزائه، كما وصلت اللذة المحرمة إلى جميع أجزائه، والله حكيم عليم.

ونفى الله تعالى الإيمان عن الزاني على لسان نبيه ﷺ لما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١).

فجدير بالمسلم أن يبتعد عن فاحشة الزنا، وقد علم ما يترتب عليها من الشرور والآثام، وأنها من كبائر الذنوب العظام ليسلم من العقوبة في الدنيا، والوعيد الشديد في الآخرة، وليحصل على الوعد الكريم من الله

(١) سبق تخريجه.

لمن اجتنب الكبائر في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

❖ ❖ ❖

وإن مما ينافي حفظ الفرج ويضادّه أيضا: اللواط؛ تلك الجريمة الأخلاقية المُسْتَبْشَعة في الفطر السليمة، فضلا عن العقول والشرائع، بل إن البهائم العجماوات تأنف منها، وتنفر بطبعها من اقترافها فضلا عن الإنسان الذي ميّزه الله ﷻ وكرمه وفضله على كثير من مخلوقاته، فضلا عن المسلم الذي له مبدأ وعقيدة ومُثُل وأخلاق يعتز بها، ويشرُف بتطبيقها، والعمل بها، فقد شرفه بالإسلام والإيمان.

ولقد مدح الله تعالى المؤمنين، وأثنى عليهم باتصافهم بحفظ فروجهم، وإن جريمة اللواط تضاد هذه الصفة، وتناقضها تمام المناقضة، تلك الجريمة الخلقية الشنعاء التي تأنفها الطباع السليمة، والفطر المستقيمة، والعقول الصحيحة، وجاءت الشرائع بتحريمها وبتشنيعها، موافقة للعقول والفطر، فإن العقل الصريح موافق النقل الصحيح.

ولم تُعرف هذه الجريمة قبل قوم لوط عليه السلام مبتدعي اللواطة، فهم الذين ابتكروها وابتدعوها وسنّوها لمن بعدهم، وذلك شيء لم تكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببال أحد، حتى صنع ذلك أهل سدوم ـ قوم لوط ـ عليهم لعائن الله ﷻ.

قال الوليد بن عبدالملك، باني جامع دمشق: لولا أن الله ﷻ قصَّ علينا خبر قوم لوط، ما ظننت أن ذكرًا يعلو ذكرًا، ولهذا قال لهم نبيهم لوط ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٨٠-٨١].

فجريمة اللواط فاحشة بلغت في العظم والشناعة إلى أن استغرقت

أنواع الفحش، وسماها الله تعالى إسرافًا؛ لأن هؤلاء الخبثاء عدلوا عن النساء اللاتي خلقهن الله تعالى لهم إلى الرجال، وهذا إسراف وجهل، ووضع للشيء في غير موضعه؛ إذ النساء فيهن المستمتَع الموافق للشهوة والفطرة.

ولهذا عاقب الله ﷻ قوم لوط عقوبة شديدة، لم يعاقب بها أمة غيرهم، وما ذاك إلا لشناعتها وبشاعتها وفحشها المتناهي، فإن الله تعالى عذبهم بأنواع من العذاب، فجمع لهم بين الرفع والقلب والقذف، فرفع الله تعالى قرى اللواطة، ثم قلبها عليهم، ثم أتبعوا بالحجارة قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ [هود: ٨٢].

وقد توعد الله سبحانه من يفعل هذه الفعلة بقوله: ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٣]. **والمعنى**: وما هذه النقمة - وهي الحجارة التي أُمطرت على قوم لوط - ببعيد ممن تشبّه بهم في ظلمهم، وفعل مثل فعلهم.

ولهذا ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله إلى أن اللائط يُلقى من شاهق، ويُتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط.

وذهب الإمام الشافعي رحمه الله **وجماعة** إلى أن اللواط يقتل سواء كان محصنًا أو غير محصن؛ عملًا بحديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ، وَالْمَفْعُولَ بِهِ**»(١).

وذهب آخرون إلى أن اللوطي كالزاني؛ فإن كان محصنا رجم، وإلا جلد مائة جلدة وغرّب عامًا.

---

(١) أخرجه أبو داود: كِتَاب الْحُدُودِ، بَابٌ فِيمَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، رقم: (٤٤٦٢)، والترمذي: أَبْوَابُ الْحُدُودِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَدِّ اللُّوطِيِّ، رقم: (١٤٥٦)، وابن ماجه: كِتَاب الْحُدُودِ، بَابُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، رقم: (٢٥٦١).

وجريمة اللواط فيها من المفاسد والمضار الخلقية والدينية والفطرية ما يكفي بعضها لتحريمها، وبعد العاقل عنها، فضلا عن المسلم ذي الخلق والمبدأ والعقيدة؛ **فهذه الجريمة النكراء تنطوي تحتها أمور عظيمة منها:**

١ ـ أن جريمة اللواط فاحشة عظمى من أعظم أنواع الفواحش، فارتكابها وقوع في فحش عظيم.

٢ ـ أن مرتكبها متجرؤ على حرمات الله تعالى، متعرِّض لسخطه وأليم عقابه.

٣ ـ أن جريمة اللواط من أعظم كبائر الذنوب، ومرتكب الكبائر على خطر عظيم قد توعده الله تعالى بالعقوبة والعذاب والهوان.

٤ ـ أن ارتكاب هذه الجريمة هدم للأخلاق الفاضلة.

٥ ـ أن مرتكبها قد ذهب عنه الحياء وماء الوجه.

٦ ـ أن مرتكب جريمة اللواط قد دنّس عرضه، وشوّه سمعته.

٧ ـ أن مرتكب جريمة اللواط جاني على الإسلام وعلى حرماته.

٨ ـ أن مرتكب جريمة اللواط جنى على المجتمع الإسلامي بإشاعة الفاحشة، وإفساد الأخلاق.

٩ ـ أن مرتكب هذه الجريمة جانٍ على أقاربه بتشويه سمعتهم، وإلحاق العار بهم.

١٠ ـ أن مرتكب هذه الجريمة جان على أقارب المفعول به أيضا، بتشويه سمعتهم وخدش كرامتهم، وإلصاق العار بهم.

١١ ـ أن جريمة اللواط شذوذ في الأخلاق، وخروج عن مألوف الإنسانية، بل الحيوانية؛ إذ أن كثيرًا من الحيوانات تأنفها وتأباها.

١٢ ـ أن مرتكب جريمة اللواط قد انتكست فطرته، وعميت بصيرته.

أيها المسلم: جدير بك وقد أنعم الله تعالى عليك بنعمة الإسلام، أن تحذر كل الحذر من الوقوع في هذه الفاحشة المستخبثة شرعًا وعقلا وفطرة، وأن تبتعد عن الأسباب الموصلة إليها؛ **فإنها** شنعاء، **إنها** جريمة نكراء، **إنها** فساد في الأخلاق، **إنها** دعارة، **إنها** فساد في التصوّر، **إنها** انحراف في الفطرة، **إنها** خروج عن المألوف، **إنها** وضع للشيء في غير موضعه، **إنها** قذارة، **إنها** قضاء على المروءة، **إنها** قضاء على الشهامة، **إنها** إذهاب الرجولة، **إنها** ذهاب للحياء، **إنها** قضاء على الاحتشام والستر، **إنها** تزعزع العقيدة الإسلامية، وتضعفها، وقد تقضي عليها، **إنها** تميت الغيرة الدينية.

فاحذرها ـ أيها المسلم ـ وابتعد عنها لا تقربها، ولا تفكر فيها، ابتعد عن أسبابها لتسلم من الويلات والمصائب التي تجرّها، ولتكون في عداد الحافظين لفروجهم، والحافظات الذين أعد الله تعالى لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا. جعلنا الله ﷻ منهم بمنه وكرمه، إنه جواد كريم.

❖ ❖ ❖

وإن مما ينافي هذه الصفة الحميدة أيضا ـ حفظ الفروج ـ ويضادها: ما يسمى بالعادة السرية، التي بُلي بها بعض الناس، والعادة السرّية عبارة عن الاستمناء باليد، أو بمعنى أعم: هي عبارة عن استدعاء خروج المني، سواء كان باليد أم بغيرها، وتعرف عند العلماء بجلد عميرة، وعميرة كناية عن الذكر، ويقال لها: الخضخضة، وهي حرام عند جمهور العلماء مطلقًا، وقد دل الكتاب والسنة على تحريم العادة السرّية، وذلك لما يترتب عليها من الأضرار الجسمية والعقلية والدينية.

فمن أدلة تحريمها:

١ ـ قوله تعالى في سورتين من كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾.

وجه الدلالة: أن الله تعالى أثنى على الحافظين لفروجهم، واستثنى التمتع بالزوجة وملك اليمين، فمن تجاوزهما فقد اعتدى وتجاوز الحد فهو ملوم ومذموم، والتلذذ عن طريق العادة السرية سواء كان باليد، أم بغيرها خارج عن هذين القسمين، فالمتلذذ بذلك من العادين بنصّ هاتين الآيتين الكريمتين.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

وجه الدلالة: فقد أمر الله تعالى العاجز عن الزواج بالاستعفاف. وفعل العادة السرية يضاد الاستعفاف.

٤ ـ ما ثبت في الصحيحين من قوله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»(١).

وجه الدلالة: أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أرشد العاجز عن الزواج إلى الصوم. وعدل عن الإرشاد إلى فعل العادة السرية، فدل على تحريمها، ولو كانت جائزة لبيّنها؛ إذ المقام يقتضيها، **والقاعدة الأصولية:** لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

٥ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**سَبْعَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ مَعَ الْعَالَمِينَ، يُدْخِلُهُمُ النَّارَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا، إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا، إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا، فَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ: النَّاكِحُ يَدَهُ، وَالْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ بِهِ، وَالْمُدْمِنُ بِالْخَمْرِ، وَالضَّارِبُ أَبَوَيْهِ حَتَّى يَسْتَغِيثَا، وَالْمُؤْذِي جِيرَانَهُ حَتَّى يَلْعَنُوهُ،**

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ البَاءَةَ فَلْيَصُمْ، رقم: (٥٠٦٦)، ومسلم: كِتَابُ النِّكَاحِ، رقم: (١٤٠٠).

وَالنَّاكِحُ حَلِيلَةَ جَارِهِ»[١].

وجه الدلالة: توعُّد الناكح يده بوعيد شديد، مما يدل على تحريم فعل العادة السرية، وإن كان هذا الحديث في إسناده من لا يعرف لجهالة، إلا أنه يستأنس به فينضم إلى الأدلة السابقة.

قال بعض العلماء: إنها كالفاعل بنفسه، وهي معصية أحدثها الشيطان، وأجرها بين الناس حتى صارت قيله، ويا ليتها لم تقل، ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها، فإنها عار بالرجل الدنيء، فكيف بالرجل الكبير.

- **إن هذه العادة السرّية يترتب على فعلها مضار** - جسيمة وعقليه ودينية، **فمن المضار الجسمية**:

١ - أنها تضعف البصر.

٢ - تضعف عضو التناسل.

٣ - تحدث ارتخاء جزئيًا أو كليًا.

٤ - توقف نمو الأعضاء: الإحليل والخصيتين.

٥ - تورث التهابًا منويًا في الخصيتين، فيصير صاحبه سريع الإنزال.

٦ - تورث ألمًا في فقار الظهر في الصلب الذي يخرج منه المني.

٧ - تورث رعشة في بعض الأعضاء كالرجلين.

ومن المضار العقلية:

أنها تضعف القوة المدركة، مما يؤدي إلى البله، وقد تؤدي إلى الخبل في العقل.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٢٩/ ٥٠٧٨).

ومن المضار الدينية:

أنها تضعف النسل الذي حث الإسلام على الإكثار منه، ومن ذلك قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ**»(١).

فجدير بالمسلم وقد علم مضار هذه العادة السيئة أن يجتنبها ويبتعد عنها، وكلُّ ما فيه ضرر فالإسلام يمنعه وينفيه، ومن ذلك قوله ﷺ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**»(٢). فالحديث يدل على المنع من كل ما يضر وتحريمه، فتدخل العادة السرّية في عموم الحديث؛ لأنه ثبت أضرارها جسميًا وعقليًا ودينيًا.

فاحذر ـ أيها المسلم ـ من استعمالها لتكون في عداد الحافظين لفروجهم والحافظات، فتحصل على الوعد الكريم الذي وعدهم الله تعالى به، وابتعد عن كل الأسباب التي تؤدي إلى الإخلال بهذه الصفة «حفظ الفروج» فاحفظ سمعك وبصرك ويدك ورجلك عن الحرام؛ فلا تنظر إلى ما حرم الله تعالى من النساء والمصورات الخليعة، ولا تسمع اللغو والهذيان والغزل المؤدي إلى هتك حفظ الفروج، ولا تمسّ بيدك ما حرم الله عليك من النساء وغيرها، ولا تمش برجلك إلى ريبة، ولا تتمنَّ ولا تهوى ما حرمه الله تعالى عليك، فكل ذلكم وسائل تؤدي إلى هتك حفظ الفروج؛ وفي الحديث: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ**»(٣).

ونسأل الله أن يجعلنا في عداد الحافظين فروجهم والحافظات، إنه على كل شيء قدير.

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب النكاح، بَابُ النَّهْيِ عَنْ تَزْوِيجِ مَنْ لَمْ يَلِدْ مِنَ النِّسَاءِ، رقم: (٢٠٥٠)، والنسائي: كتاب النكاح، كَرَاهِيَةُ تَزْوِيجِ الْعَقِيمِ، رقم: (٣٢٢٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه: كِتَابُ الْأَحْكَامِ، بَابُ مَنْ بَنَى فِي حَقِّهِ مَا يَضُرُّ بِجَارِهِ، رقم: (٢٣٤١)

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ زِنَا الجَوَارِحِ دُونَ الفَرْجِ، رقم: (٦٢٤٣)، ومسلم واللفظ له: كتاب الْقَدَرِ، رقم: (٢٦٥٧).

الصفة السادسة
رعاية الأمانة

إن من صفات المؤمنين المفلحين الوارثين للفردوس: أنهم راعون لأماناتهم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون:٨] ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١٠-١١].

وقال تعالى في سورة سأل: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٣٢﴾ ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج: ٣٥].

وما تضمنه هاتان الآيتان الكريمتان من حفظ الأمانات والعهود جاء مبينًا في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨]، وكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٧﴾ [الأنفال:٢٧]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة:١]، وقوله: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النحل: ٩١].

ولقد مدح الله تعالى الذين هم راعون لأماناتهم؛ **والراعي هو**: القائم على الشيء بحفظ وإصلاح، وفي الحديث: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١).

والأمانة تشمل: كل ما استودعك الله تعالى أمره وأمرك بحفظه، فيدخل فيها حفظ جوارحك عن كل ما لا يرضي الله تعالى، وحفظ ما ائتمنت عليه من حقوق الناس.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجُمُعَةِ، بَابُ الجُمُعَةِ فِي القُرَى وَالمُدُنِ، رقم: (٨٩٣)، ومسلم: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، رقم: (١٨٢٩)

وتشمل أيضا: جميع الواجبات على الإنسان، سواء كان واجبًا عليه ابتداء، وهو ما يتساوى فيه الناس من حقوق الله تعالى على عباده كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها، أو كان واجبًا لسبب من الأسباب من حقوق الله تعالى، كالكفارات والنذور.

وتشمل أيضا: حقوق العباد بعضهم لبعض، وهذا لا يتساوى فيه الناس، بل إنما يجب لسبب من الأسباب كالديون والودائع والعواري.

وتشمل أيضا: الولايات؛ كالإمامة، والإمارة، والوزارة، والرئاسة، والإدارة، ورعاية الأسرة، والوظائف، وتأدية الودائع إلى أصحابها، وغير ذلك مما يؤتمن عليه الإنسان، كل ذلك داخل في الأمانة التي أمرنا الله ﷻ بأدائها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

وفي حديث الحسن عن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**»(١). وإن كان في سماع الحسن من سمرة كلام لأهل العلم.

وبهذا يتبين أن الأمانة عامة تشمل جميع الفرائض التي ائتمن الله تعالى عليها العباد، وأنها ليست خاصة بالودائع كما قد يتوهمه بعض الناس، وإنما الودائع من الأمانات التي وجبت بسبب من الأسباب، لا بأصل الشرع.

والفرائض التي وجبت بأصل الشرع أمانة عامة على كل شخص في الجملة، وهذه هي الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا

(١) أخرجه أبو داود: كتاب البيوع، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَأْخُذُ حَقَّهُ مَنْ تَحْتَ يَدِهِ، رقم: (٣٥٣٤)، والترمذي: أَبْوَابُ الْبُيُوعِ، رقم: (١٢٦٤).

ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب:٧٢]. وهذا العرض للأمانة على السماوات والأرض والجبال عرض تخيير لا إلزام، ولو ألزمهن الله ﷻ لم يمتنعن من حملها؛ إذ الجمادات كلها خاضعة لله ﷻ مطيعة له، مسبّحة له، ساجدة له، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت:١١]. وقال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤]. وقال في الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٤]. وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج:١٨] الآية.

ولا تنافي بين تفسيرنا للأمانة بالتكليف، وبين ما روي عن بعض السلف في تفسير الأمانة ببعض الواجبات؛ كما روي عن بعضهم أنه قال: «**الْأَمَانَةُ الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ**»، وقال بعضهم: «**الْأَمَانَةُ ثَلَاثَةٌ: الصَّلَاةُ، وَالصَّوْمُ، وَالِاغْتِسَالُ مِنَ الْجَنَابَةِ**»(١)، وقال بعضهم: «**الأمانة هِيَ: الْفَرَائِضُ**» وقال آخرون: «**هِيَ الطَّاعَةُ، وقال بعضهم: الْأَمَانَةُ: الدِّينُ وَالْفَرَائِضُ وَالْحُدُودُ**»(٢). وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «**الْأَمَانَةُ: أَدَاءُ الصلاة، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصِدْقُ الْحَدِيثِ، وَقَضَاءُ الدَّيْنِ، وَالْعَدْلُ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ؛ وَأَشَدُّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ الْوَدَائِعُ**»(٣). وَقَالَ مجاهد: «**الأمانة الفرائض وحدود الدِّيْنِ**». وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «**مَا أُمِرُوا بِهِ، وَنُهُوا عَنْهُ**»(٤). وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: «**هُوَ الصَّوْمُ**

(١) انظر: تفسير عبد الرزاق (٢/ ١٠٢) وبنحوه في تفسير البغوي (٦/ ٣٨٠).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٥٤). تفسير الماوردي (٤/ ٤٢٨)، معاني القرآن للنحاس (٥/ ٣٨٤).
(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٦٦٨) وزاد المسير (٢/ ١١٤)
(٤) انظر: تفسير الماوردي (٤/ ٤٢٨) وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٩) وذكره السيوطي في الدر النثور(٦/ ٦٦٨) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

وَالْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَمَا يَخْفَى مِنَ الشَّرَائِعِ»(١). وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «**هِيَ أَمَانَاتُ الناس والوفاء بالعهد**»(٢).

وهذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أُثيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفقه الله تعالى.

فالأمانة تعم جميع وظائف الدين، فتتناول: الصلاة، والزكاة، وسائر العبادات؛ **وهي عامة في جميع الناس؛ فتتناول**: الولاة فيما إليهم من الأمانات في قسمة الأموال وردّ الظلامات، والعدل في الحكومات، وتتناول مَن دونهم من الناس في حفظ الودائع، والتحرز في الشهادات، والحكم في نازلة من النوازل، وغير ذلك.

ويدخل في ذلك حفظ الجوارح عن المحرمات؛ فالأُذن أمانة، والعين أمانة، واللسان أمانة، والبطن أمانة، والفرج أمانة، واليد أمانة، والرِّجل أمانة، والعلم أمانة، والعقل أمانة، والولد أمانة.

والولاة مؤتمنون ومسؤولون، فولي الأمر ورئيس الدولة مؤتمن ومسؤول، والأمير مؤتمن ومسؤول، والوزير مؤتمن ومسؤول، والموظف مؤتمن ومسؤول، والمدرس مؤتمن ومسؤول، والطالب مؤتمن ومسؤول، والرجل في بيته مؤتمن ومسؤول، والمرأة في بيت زوجها مؤتمنة ومسؤولة، والخادم في مال سيده مؤتمن ومسؤول، كما في الحديث الصحيح: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،**

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٦٦٨).

(٢) انظر في الأقوال في معنى الأمانة: تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٩-٣١٦٠) وتفسير الثعلبي (٨/ ٦٨) والمحرر الوجيز (٤/ ٤٠٢) وزاد المسير (١/ ٤٢٣) وتفسير ابن كثير (٦/ ٤٨٩).

وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(١).

- ومن عنده وديعة فهو مأمور بحفظها وردها إلى أهلها، وكل واحد مأمور بأداء الأمانة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**لَمْ يُرَخِّصِ اللَّهُ لِمُعْسِرٍ وَلَا لِمُوسِرٍ أَنْ يُمْسِكَ الْأَمَانَةَ**»(٢)؛ وفي الحديث: «**أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**»(٣).

ومن لم يفعل ذلك في الدنيا أُخذ منه ذلك يوم القيامة، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»(٤). وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «**إِنَّ الشَّهَادَةَ تُكَفِّرُ كُلَّ ذَنْبٍ إِلا الأَمَانَةَ. يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ كَانَ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَالُ أَدِّ أَمَانَتَكَ، فَيَقُولُ: وَأَنَّى أُؤَدِّيهَا وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا، فَتُمَثَّلُ لَهُ الأَمَانَةُ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي إِلَيْهَا فَيَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ، قال: فَتَنْزِلُ عَلَى عَاتِقِهِ فَيَهْوِي عَلَى أَثَرِهَا أَبَدَ الأَبَدِ**»(٥). وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ، مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ عَلَى وُجُوهِهِنَّ، وَرُكُوعِهِنَّ، وَسُجُودِهِنَّ، وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَأَعْطَى الزَّكَاةَ مِنْ مَالِهِ طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا**» قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: «**وَايْمُ اللَّهِ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَصَامَ رَمَضَانَ وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ**

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٥/٢٥٦).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أخرجه مسلم: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، رقم: (٢٥٨٢).
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٨٥/٥٥١٢).

سَبِيلًا، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ»قَالُوا: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ وَمَا أَدَاءُ الْأَمَانَةِ؟ قَالَ: «الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَأْمَنِ ابْنَ آدَمَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ غَيْرَهَا»(١).

- وقد ورد أن الأمانة تُرفع حتى لا يكاد يوجد أحد يؤدي الأمانة؛ ففي الصحيحين من حديث حذيفة رضي الله عنه أنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنَا: «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ». وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ». وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإِسْلَامُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا اليَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا(٢).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا» أَوْ قَالَ: «يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْأَمَانَةَ قَالَ: يُؤْتَى بِصَاحِبِ الْأَمَانَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَدِّ أَمَانَتَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى الْهَاوِيَةِ، فَيُذْهَبُ بِهِ إِلَيْهَا، فَيَهْوِي فِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى قَعْرِهَا، فَيَجِدُهَا كَهَيْئَتِهَا، فَيَأْخُذُهَا، فَيَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ، ثُمَّ يَصْعَدُ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ بِهَا زَلَّتْ فَهَوَتْ، وَهُوَ فِي أَثَرِهَا أَبَدَ

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٦٥/ ٢٤٩٥)، والآجري في الشريعة (٢/ ٦٥٠/ ٢٧٤).
(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ رَفْعِ الأَمَانَةِ، رقم: (٦٤٩٧)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (١٤٣).

الْآبِدِينَ، وَالْأَمَانَةُ فِي الصَّلَاةِ، وَالْأَمَانَةُ فِي الصَّوْمِ، وَالْأَمَانَةُ فِي الْوُضُوءِ، وَالْأَمَانَةُ فِي الْحَدِيثِ، وَأَشَدُّ ذَلِكَ الْوَدَائِعُ»(١).

وقد بيّن الله تعالى في كتابه الكريم أنه إنما حمَّل بني آدم الأمانة ـ وهي التكاليف ـ؛ ليعذب المنافقين منهم والمنافقات ـ وهم: الذين يظهرون الإيمان؛ خوفًا من أهله، ويبطنون الكفر؛ متابعة لأهله ـ وليعذب المشركين والمشركات ـ وهم: الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله تعالى ومخالفة رسله ـ وليرحم المؤمنين من الخلق ـ الذين آمنوا بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته ـ قال تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٣].

ـ ومن الأمانة: حفظ الجوارح عما حرم الله تعالى فمثلا:

الأذن أمانة؛ يجب عليك أن تسمع بها ما ينفعك، وما أمرك الله به كالقرآن الكريم والأحاديث النبوية، وما فيه صلاح للإسلام والمسلمين والمباحات الدنيوية، ولا يجوز أن تسمع بها ما يضر بدينك من اللغو والسب والغيبة والنميمة، وما فيه إفساد ذات البين.

وكذلك العين أمانة؛ فيجب عليك ـ أيها المسلم ـ أن تبصر بها ما أباحه الله ﷻ لك، وما فيه نفع لك في العاجل والآجل.

ويحرم عليك أن تنظر بها إلى النساء الأجنبيات، والمصورات الخليعات، وما حرم الله تعالى النظر إليه.

وكذلك اللسان أمانة؛ فالواجب استعماله في قراءة القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وقراءة الكتب النافعة، والدراسة والتدريس، وما أوجبه الله تعالى من الأذكار، والتسبيح، والتكبير، والتهليل،

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٠٧)، والسنن الكبرى (٦/ ٤٧١).

والتحميد، وحمد الله تعالى وشكره، والإصلاح بين الناس، والوعظ والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستعماله في المباحات، كالتحدث مع الأهل، والضيف، والجار، والقريب، والوالد، والبيع، والشراء؛ وقد يكون ذلك واجبًا.

ويحرم استعمال اللسان في الغيبة والنميمة والسب والشتم، والسخرية بالمسلمين، وإفساد ذات البين، والوقوع في أعراض المسلمين، وعيبهم، وتنقصّهم، وازدرائهم، واحتقارهم؛ فمن فعل ذلك فقد خان أمانة اللسان؛ والله ﷻ نهى عن الخيانة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

وفي الحديث: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**»(١).

وجماع الخير: في كف اللسان، وصونه؛ كما في حديث معاذ رضي الله عنه في السنن أن النبي ﷺ قال: «**وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(٢).

وفي الحديث: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**» أخرجه مسلم في صحيحه(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

---

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، رقم: (٢٩٨٨)
(٢) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ،رقم: (٢٦١٦)، وابن ماجه: كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ، رقم: (٣٩٧٣).
(٣) كتاب الإيمان، رقم: (٤٩).

وكذلك البطن أمانة؛ فيجب أن لا يدخل فيه إلا ما أباحه الله، فمن أدخل في بطنه شيئًا مما حرم الله عليه، فقد خان أمانة البطن، وقد كان السلف الصالح يحافظون على أمانة البطن، ويتورعون من أكل المتشابه، والحرام.

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما جاء عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ أنه قَالَ: **«كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه عَنْهُ مَمْلُوكٌ يَغُلُّ عَلَيْهِ، فَأَتَاهُ لَيْلَةً بِطَعَامٍ فَتَنَاوَلَ مِنْهُ لُقْمَةً، فَقَالَ لَهُ الْمَمْلُوكُ: مَا لَكَ كُنْتَ تَسْأَلُنِي كُلَّ لَيْلَةٍ وَلَمْ تَسْأَلْنِي اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ الْجُوعُ، مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهَذَا؟ قَالَ: مَرَرْتُ بِقَوْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَرَقِيتُ لَهُمْ فَوَعَدُونِي، فَلَمَّا أَنْ كَانَ الْيَوْمُ مَرَرْتُ بِهِمْ فَإِذَا عُرْسٌ لَهُمْ فَأَعْطَوْنِي، قَالَ: إِنْ كِدْتَ أَنْ تُهْلِكَنِي، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي حَلْقِهِ فَجَعَلَ يَتَقَيَّأُ، وَجَعَلَتْ لَا تَخْرُجُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ لَا تَخْرُجُ إِلَّا بِالْمَاءِ، فَدَعَا بِطَسْتٍ مِنْ مَاءٍ فَجَعَلَ يَشْرَبُ وَيَتَقَيَّأُ حَتَّى رَمَى بِهَا، فَقِيلَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ كُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ هَذِهِ اللُّقْمَةِ، قَالَ: لَوْ لَمْ تَخْرُجْ إِلَّا مَعَ نَفْسِي لَأَخْرَجْتُهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»، فَخَشِيتُ أَنْ يَنْبُتَ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِي مِنْ هَذِهِ اللُّقْمَةِ»**(١).

وفي الحديث: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الإِنْسَانِ بَطْنُهُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ»**(٢).

وخيانة الأمانة في البطن لها آثار سيئة، ومن آثارها:

١ - عدم قبول الدعاء، كما في قصة: **الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**(٣)

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، بَابُ مَنْ شَاقَّ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ، رقم: (٧١٥٢).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، رقم: (١٠١٥).

ولما قال سعد رضي الله عنه: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني مجاب الدعوة قال: «**يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ**»(١).

٢ ـ عدم قبول الأعمال، كما في الحديث: «**إِذا خرج الْحَاج حَاجًا بِنَفَقَة طيبَة وَوضع رجله فِي الغرز فَنَادَى لبيْك اللَّهُمَّ لبيْك ناداه مُنَاد من السَّمَاء لبيْك وَسَعْديك زادك حَلَال وراحلتك حَلَال وحجك مبرور غير مأزور وَإِذا خرج بِالنَّفَقَةِ الخبيثة فَوضع رجله فِي الغرز فَنَادَى لبيْك ناداه مُنَاد من السَّمَاء لَا لبيْك وَلَا سعديك زادك حرَام ونفقتك حرَام وحجك مأزور غير مبرور**»(٢).

وكذلك اليد أمانة؛ فيجب أداء الأمانة فيها، وذلك باستعمالها في طاعة الله عز وجل، والبطش بها فيما أذن الله تعالى فيه، والتناول بها لما أباحه الله تعالى، فمن استعمل يده في المحرمات، وتناول بها، وبطش بها متجاوزًا ما حده الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقد خان أمانة اليد.

وكذلك الرجل أمانة؛ وأداء الأمانة فيها استعمالها في المأذون فيه كالمشي بها إلى الصلوات، ومجالس الذكر، والعلم، والتعليم، وما أباحه الله تعالى كالبيع والشراء، أو ما حثّ الشرع عليه، كصلة الأرحام، والأقارب، والجيران، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فمن استعمل رجله في المحرمات بأن مشى بها إلى مواطن الرّيب فقد خان أمانة الرجل؛ وسوف تشهد عليه هذه الجوارح يوم القيامة بما عمل.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [فصلت: ١٩-٢٠].

وفي الحديث: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» **قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا**

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٣١٠/ ٦٤٩٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٢٥١/ ٥٢٢٨)، والمنذري في الترغيب (٢/ ١١٤/ ١٧٢٤).

دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(١).

وكذلك الفرج أمانة، وأداء الأمانة فيه: استعمال هذه الجارحة فيما أباحه الشرع من الزواج والتسري، فمن تجاوز ذلك إلى الزنا، أو اللواط، أو استعمال العادة السرية، فقد خان أمانة الفرج، وهو من المعتدين كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾ [المؤمنون:٧].

- **وكذلك العلم أمانة**، وأداء الأمانة فيه العمل به، ودعوة الناس إليه، والصبر على الأذى الذي يحصل بسبب الدعوة إليه، فمن فعل ذلك فقد أدّى الأمانة في علمه، وكان من الرابحين، ومن لم يعمل بعلمه، ولم يدع الناس إليه، ويصبر على أذاهم فيه، فقد خان الأمانة في علمه، وكان من الخاسرين، كما بين الله تعالى ذلك في كتابه الكريم في سورة كريمة من قصار السور، فقال سبحانه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:١-٣].

بين الله تعالى في هذه السورة الكريمة أن كل إنسان خاسر إلا من علم، وعمل، ودعا، وصبر، فالعلم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ والعمل في قوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، والدعوة إليه في قوله: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾، والصبر على الأذى في قوله: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿١٧﴾﴾ [العصر:٣].

ولذلك يقول الإمام الشافعي رحمه الله: لو ما أنزل الله تعالى حجة على

(١) أخرجه مسلم: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، رقم: (٢٥٨١)

خلقه إلا هذه السورة لكفتهم[(١)].

فالواجب على العالم: أن يتقي الله وأن يؤدي الأمانة في علمه، وذلك بالعمل به، وتعليم الناس، ودعوتهم، وإرشادهم، والصبر على أذاهم، والتحمل لذلك؛ ومن لم يعمل بعلمه، ولم يُرشد، ويُعلّم، ويدع إليه، ويصبر على ذلك، فقد خان أمانة الله ﷻ في علمه، وتشبّه باليهود ـ عليهم لعنة الله تعالى ـ حيث لم يعملوا بعلمهم، وقد أمر الله تعالى في كل ركعة من ركعات الصلاة أن نسأل الله تعالى أن يجنبنا طريقهم: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

- **ومن الأمانة التي تجب رعايتها**: الولد؛ فإذا رزقك الله تعالى ولدًا ذكرًا، أو أنثى، فيجب عليك رعاية هذه الأمانة، وذلك بشكر الله تعالى المنعم؛ وتربية الأولاد تربية إسلامية صحيحة، وذلك بتعليمهم القرآن الكريم، والفقه الشرعي، والعقائد الصحيحة السليمة، وغرس الأخلاق الفاضلة في نفوسهم؛ لما روي: «**مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**»[(٢)].

وكذا تمرينهم وتدريبهم على فعل الخير، واصطحابهم إلى المساجد ومجالس الذكر، والأخذ بأيديهم عن المزالق الرديئة في معتقداتهم، وأخلاقهم، وعاداتهم، وتصوراتهم، وأفكارهم، وتأديبهم، ووعظهم عند ارتكاب شيء من ذلك، وإبعادهم عن جلساء السوء كما في حديث: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ، لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ**

---

(١) انظر: تفسير الشافعي (٣/ ١٤٦١).

(٢) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي أَدَبِ الوَلَدِ، رقم: (١٩٥٢). قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وتعقبه الذهبي في التلخيص فقال: بل مرسل ضعيف.

رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»(١).

وقد أرشد النبي ﷺ إلى تأديبهم فقال: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»(٢).

- **وكذلك الأهل أمانة**؛ وأداء الأمانة في ذلك تعليم الأهل، وتربيتهم ورعايتهم، والقيام بحقوقهم، والأخذ بأيديهم عما يضرهم؛ وذلك بأن يعلم الرجل زوجته وابنته، أو أخته، أو من تحت يده أحكام الطهارة، والحيض، والنفاس، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج؛ ويعوّدهم على الأخلاق الفاضلة، ويمنعهم من السقوط في مهاوي الرذيلة، كالخروج في الشوارع، والتجول فيها بدون تحجّب واحتشام للنساء، فمن فعل ذلك، فقد أدى الأمانة، وامتثل أمر الله تعالى في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]. وقوله: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ [طه:١٣٢].

ومن أرخى لزوجته أو أخته أو بنته العنان، وترك لها الحبل على الغارب، فتركها تخرج متى شاءت، وعلى أي هيئة شاءت، وترتدي أيّ لبسة شاءت، وتبرز إلى الشوارع في أيّ زي شاءت، سواء وافقت تعاليم الإسلام أو خالفته؛ من فعل ذلك فقد خان الأمانة، وسوف يوقف بين يدي الله تعالى، ويسأل عن خيانته وغدره، وينصب لكل غادر لواء يوم القيامة، ويقال: هذه غدرة فلان بن فلان.

وكذلك العقل أمانة؛ وأداء الأمانة فيه استعماله في طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ بالتفكير في العلوم النافعة، وفيما فيه مصلحة للإسلام

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ البُيُوعِ، بَابٌ فِي العَطَّارِ وَبَيْعِ المِسْكِ، رقم: (٢١٠١)، ومسلم: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، رقم: (٢٦٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود: كِتَاب الصَّلَاةِ، بَابُ مَتَى يُؤْمَرُ الْغُلَامُ بِالصَّلَاةِ، رقم: (٤٩٥).

والمسلمين، من إرشاد الجاهل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبعد عن الإضرار بالمسلمين، والإساءة إليهم، وتدبير الحيل، والمكائد ضد المسلمين؛ فمن فعل ذلك فقد أدى أمانة عقله؛ ومن استعمل عقله في المكر والخديعة، والإضرار بالمسلمين والإساءة إليهم في الخفاء أو في الظاهر؛ من فعل ذلك فقد خان أمانة العقل؛ ويخشى عليه أن يكون في عداد المنافقين؛ الذين ظاهِرُهم مع المؤمنين، وباطنهم مع الكفار والمشركين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب ذئاب.

- **ومن الأمانة التي تجب رعايتها: ما ائتمن الله عليه بعض عباده من ولاية،** أو إمارة، أو وزارة، أو تدريس، أو دراسة، أو وديعة، أو خدمة في مال، أو رعاية من امرأة لأطفال، كل ذلك من الأمانة التي تجب رعايتها، وأداؤها لأهلها، كما أمر الله ﷻ بذلك.

فإمام المسلمين وولي الأمر العام يجب عليه أن ينصح لرعيته: بإيصال حقوقهم إليهم، والحكم بينهم بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، ونشر العدل والأمن والرخاء بينهم، والضرب على أيدي العابثين، والمفسدين والسفهاء بيد من حديد، وحجز الظالم ومنعه من الظلم، ونصر المظلوم والانتصاف له ممن ظلمه، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر؛ ويجب على الرعية مقابل ذلك الموالاة له، والسمع والطاعة، وعدم شقِّ عصا الطاعة، وعدم الخروج عليه، والنصح له، والتعاون معه على البر والتقوى، والدعاء له بالتوفيق والهداية والصلاح والنصر والتأييد، وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ وذكر منهم: «**الإِمَامُ العَادِلُ**»(١).

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَذَانِ،بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضْلِ المَسَاجِدِ، رقم: (٦٦٠)، ومسلم: كِتَاب الزَّكَاةِ،رقم: (١٠٣١).

وفي الحديث: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» أخرجه مسلم[(١)].

والقاضي يجب عليه أن يعدل بين الخصوم في لحظه، ولفظِه، ومجلسه، ودخولهم عليه؛ وأن يحكم بما علم أنه الحق بعد معرفته، أو يحكم على جهل، فإن فعل ذلك فقد خان الأمانة، وهو في النار، كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الجَنَّةِ، رَجُلٌ قَضَى بِغَيْرِ الحَقِّ فَعَلِمَ ذَاكَ فَذَاكَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ لَا يَعْلَمُ فَأَهْلَكَ حُقُوقَ النَّاسِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِالحَقِّ فَذَلِكَ فِي الجَنَّةِ**»[(٢)] أو كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وفي الحديث: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»[(٣)].

والأمير يجب عليه أن يقوم بإمارته، وينصح لمن ولاه الله تعالى ويعدل بينهم، وينتصر للمظلوم، ويأخذ على أيدي السفهاء، فإن فعل ذلك فقد أدى الأمانة.

والوزير يجب عليه أن يقوم بأعمال وزارته في حدود المسؤولية الملقاة على عاتقه بأمانة، ونصح وصدق وإخلاص.

والموظف يجب عليه أن يؤدي عمله بإتقان وإخلاص؛ وأن يحافظ على وقت الدوام، وأن لا ينقص من أوله ولا من آخره، وأن لا يترك

---

(١) كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (١٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ الْأَحْكَامِ، بَابُ مَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي القَاضِي، رقم: (١٣٢٢)، وابن ماجه: كِتَابُ الْأَحْكَامِ،بَابُ الْحَاكِمِ يَجْتَهِدُ فَيُصِيبُ الْحَقَّ، رقم: (٢٣١٥).

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الِاغْتِبَاطِ فِي العِلْمِ وَالحِكْمَةِ، رقم: (٧٣)، ومسلم: كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، رقم: (٨١٦).

المراجعين على أحرّ من الجمر لتأخّره، أو لإهماله وعدم مبالاته، فإن هذا من الأمانة التي يجب رعايتها.

والمدرس يجب عليه أن يخلص في تدريسه، وأن ينصح لطلبته، وأن يوجّههم ويربيهم التربية الإسلامية، وأن لا يلقي الدروس جافة، خالية من التوجيه والإرشاد، وأن يكون قدوة لطلبته، فإن هذا من الأمانة.

والطالب يجب عليه أن يجتهد في دروسه، وأن ينتبه لما يقليه المعلم، وأن لا يحاول الغش في الامتحان، وأن يتأدب بآداب طالب العلم، من احترامه معلمه، وزملائه، فإن هذا من الأمانة؛ فمن لم يفعل ذلك فقد خان الأمانة.

والمرأة راعية في بيت زوجها، ومؤتمنة على نفسها وعلى أولادها، فيجب عليها أن تحفظ نفسها عن الحرام، وأن تحفظ مال زوجها، وأن ترعى أطفالها، وتربيتهم تربية حسنة، وتجنبهم ما يضرهم، فإن هذا من الأمانة.

والخادم مؤتمن في مال سيده، في حفظه وعدم تبذيره، فإن هذا من الأمانة والتفريط فيه من الخيانة، ومن هنا نعلم أن الرسول ﷺ أوتي جوامع الكلم حينما قال: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١).

❁ ❁ ❁

(١) سبق تخريجه.

الصفة السابعة
حفظ العهد

إن من صفات المؤمنين التي مدح الله ﷻ أهلها وأثنى عليهم: حفظ العهود والعقود، ومراعاتها والوفاء بها، وقد جاء ذلك في آيات كثيرة في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى في موضعين من كتابه الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨﴾. وقال تعالى آمرًا عباده بالوفاء بالعهود والعقود: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]. وقال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ۝٣٤﴾ [الإسراء: ٣٤]. وقال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النحل: ٩١].

وأخبر تعالى عن نفسه بأنه لا أحد أوفى منه سبحانه بالعهد فقال: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ١١١]. وتوعد سبحانه من ينقض العهد بوعيد شديد، وهو اللعنة وسوء الدار، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥﴾ [الرعد: ٢٥].

والوفاء بالعقود والعهود عام يشمل: عهود الإيمان والقرآن، والعقود التي يتعاقدها الناس بينهم؛ كعقد: الحِلف، وعقد الشركة، وعقد البيع، وعقد النكاح، وعقد اليمين، وعقد الإجارة، وغير ذلك.

وقد فسر السلف قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]. فقالوا: هي: عهود الإيمان والقرآن، وقيل: العقود: هي العهود، وهي يَعْنِي مَا أَحلَّ اللَّهُ تعالى وَمَا حَرَّمَ، وَمَا فَرَضَ وَمَا حد فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ، وقيل: العقود: مَا أَحلَّ اللَّهُ تعالى وَمَا حَرَّمَ وَمَا أَخذَ اللَّهُ تعالى مِنَ الْمِيثَاقِ عَلَى مَنْ أَقَرَّ بِالْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَالْكِتَابِ أَنْ يُوفُوا

بِمَا أَخَذَ اللَّهُ تعالى عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَرَائِضِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ[(١)].

وكل هذه الأقوال متفقة المعنى، فإذا عقد الإنسان عقدًا وجب عليه أن يفي به، وأن يرعاه، ويلتزم به، كما أمر الله تعالى بذلك؛ فإذا عقد يمينًا، أو أوجب على نفسه نذرًا، وجب عليه أن يلتزم به، وأن يتحلل منه بكفارة. وكذلك سائر العقود من البيع، أو الإجارة، أو النكاح، أو غيرها.

وهذا هو شأن المؤمنين، وهذا هو وصف المؤمنين الخُلّص الذين وعدهم الله تعالى وراثة الفردوس، وبين أن من وصفهم رعاية العهد؛ وقد عقد الله سبحانه مع عباده المؤمنين عقدًا، وعاوضهم عن أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة، وتكفّل لمن خرج في سبيله لا يخرج إلا لجهاد في سبيل الله، والتصديق برسول الله ﷺ إنْ توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى أهله نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة.

وأخبر الله سبحانه أنه لا أحد أوفى منه بعهده، فقال: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] ووعد وبشّر من قام بمقتضى هذا العقد، ووفى بهذا العهد بالفوز العظيم، والنعيم المقيم، فقال: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

وقد بيّن الله تعالى في كتابه الكريم أن من صفات المؤمنين: الوفاء بالعهد، وصلة الأرحام وغيرها، وأخبر أن لهم عقبى الدار، وهي العاقبة، والنصرة في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: ١٩-٢٢].

كما بين أن من صفات الأشقياء: نقض العهد من بعد ميثاقه، وقطع الأرحام، وأن مصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون، فقال

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٧).

تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

والنبي ﷺ بين أن من صفة المنافقين الغدر في العهد، ففي الحديث: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[(١)] وفي رواية: «**وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[(٢)].

وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد، وهو: ما يعاهد الرجل عليه الناس، والعقود التي يتعامل بها، وما يلتزمه الإنسان على نفسه، وبيّن أن العهد والعقد كل منهما يسأل عنه صاحبه، فقال: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقيل: المراد بالعهد في هذه الآية: هو الإتيان بما أمر الله تعالى به، والانتهاء عما نهى الله تعالى عنه؛ وعلى هذا القول فما يعاهد الرجل عليه الناس، والعقود التي يتعامل بها معهم مما أمر الله بالوفاء به، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة، ونهى عن نقض العهود، واتخاذ أيمانها دخلًا وخداعًا، وهدد وتوعد من نقض الأيمان بعد توكيدها، فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل: ٩١].

ويدخل في نقض العهد نقض البيعة؛ ولهذا قيل: إن هذه الآية نزلت في بيعة النبي ﷺ كان من أسلم بايع النبي ﷺ على الإسلام،

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ عَلَامَةِ المُنَافِقِ، رقم: (٣٣)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ عَلَامَةِ المُنَافِقِ، رقم: (٣٤)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (٥٨).

فقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النحل: ٩١] أي: هَذِهِ البيعة التي بايعتم عَلَى الْإِسْلَام، و لَا يَحْمِلَنَّكُمْ قِلَّةُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَكَثْرَةُ الْمُشْرِكِينَ أَنْ تَنْقُضُوا الْبَيْعَةَ الَّتِي تَبَايَعْتُمْ عَلَى الْإِسْلَام(١).

وفي المسند من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْغَدْرِ أَنْ لَا يَكُونَ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ تَعَالَى، أَنْ يُبَايِعَ رَجُلٌ رَجُلًا عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ يَنْكُثَ بَيْعَتَهُ**»، قال ابن عمر رضي الله عنهما: فَلَا يَخْلَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَزِيدَ، وَلَا يُشْرِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَيَكُونَ صَيْلَمٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ(٢).

إن كلا من العهد والعقد يسأل عنه صاحبه يوم القيامة، وقد أخبر الله تعالى أن شرّ ما يدب على وجه الأرض هم الذين كفروا، وبين أن من صفاتهم ـ وخصوصًا اليهود ـ نقض العهد ـ عكس ما كان عليه المؤمنون من حفظ العهد والوفاء به ـ، فالكفار كلما عاهدوا عهدًا نقضوه، وكلما أكدّوه بالأيمان نكثوه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنفال: ٥٥-٥٦].

ولهذا قال بعض السلف: إن هذه الآية نزلت في يهود بني قريظة، نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَعَانُوا الْمُشْرِكِينَ بِالسِّلَاحِ عَلَى قِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالُوا: نَسِينَا وَأَخْطَأْنَا فَعَاهَدَهُمُ الثَّانِيَةَ، فَنَقَضُوا الْعَهْدَ وَمَالَئُوا الْكُفَّارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ(٣).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/٣٣٨) وتفسير ابن كثير (٤/٥٨٩).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده، واللفظ له، رقم: (٥٠٨٨)، وأصله في البخاري بألفاظ متقاربة: كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ إِذَا قَالَ عِنْدَ قَوْمٍ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ بِخِلَافِهِ، رقم (٧١١١).
(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/٣٦٩)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/٨١).

وبين الله تعالى ما يفعل بناقضي العهد، حيث أمر نبيه الكريم بالتنكيل بهم بعد الظفر بهم في الحرب وأسْرهم، وذلك بأن يفعل بهم من القتل والتنكيل ما يُفرّق به جمع كل ناقض، ويخافه من وراءهم لعلهم يحذرون أن ينكثوا، ويصنع بهم مثل ذلك.

فقال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنفال: ٥٧]. ومن خشينا خيانته نقضًا لما بيننا وبينهم من المواثيق والعهود، فالواجب علينا نبذ عهده جهرًا لا نقضه غدرًا، وذلك بأن يطرح عهدهم إليهم، فيعلمون أننا قد نقضنا عهدهم حتى يبقى علمنا وعلمهم بأننا حرب لهم وهم حرب لنا، وأنه لا عهد بيننا وبينهم على السواء، فنستوي نحن وهم في ذلك، قال الشاعر:

فَاضْرِبْ وُجُوهَ الغُدر للأعداء حَتَّى يُجِيبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ(١)

وذلك أن الله لا يحب الخيانة حتى ولو في حق الكفار، قال تعالى في ذلك مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: ٥٨].

يا لها من صفة نبيلة وخلق رفيع، وأدب إسلامي جميل، يربي الله تعالى المؤمنين، ويهذب نفوسهم، ويسمو بها إلى ذرى الكمال والرفعة، فيأمر المؤمنين بنبذ العهد إلى الكفار حتى يكون الأمر واضحًا لهم جليًّا، سُموًّا بالمؤمنين عن الغدر والخيانة، فما أجمل الإسلام، وما أروع آدابه، وتعاليمه، ومثله، وأخلاقه.

ولقد كان سلف هذه الأمة يمتثلون أوامر ربهم ﷻ ويقفون عند حدوده، وإذا غفلوا، ثمّ ذكّروا، رجعوا في الحال، ولم يتجاوزوا تعاليم الإسلام؛ ولذلك حصلوا على الشرف والعزة في الدنيا، والكرامة والثواب في الآخرة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢٧)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٧٩).

فهذا مُعَاوِيَةُ بن أبي سفيان رضي الله عنهما كان يَسِيرُ فِي أَرْضِ الرُّومِ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَمَدٌ، فَأَرَادَ أَنْ يَدْنُوَ مِنْهُمْ، فَإِذَا انْقَضَى الْأَمَدُ غَزَاهُمْ، فَإِذَا شَيْخٌ عَلَى دَابَّةٍ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَفَاءً لَا غَدْرًا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَحُلَّنَّ عَهْدًا، وَلَا يَشُدَّنَّهُ حَتَّى يَمْضِيَ أَمَدُهُ أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ**»(١). قال: فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَرَجَعَ، وَإِذَا الشَّيْخُ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ رضي الله عنه(٢).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: دَعُونِي أَدْعُوهُمْ كَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُوهُمْ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا كُنْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ، فَهَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ فَلَكُمْ مَا لَنَا وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْنَا، وَإِنْ أَنْتُمْ أَبَيْتُمْ فَأَدُّوا الْجِزْيَةَ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ نَابَذْنَاكُمْ عَلَى سَوَاءٍ،** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال:٥٨]، **يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ غَدَا النَّاسُ إِلَيْهَا فَفَتَحُوهَا**»(٣).

وقد ضرب الله تعالى المثل للغدر، ونقض العهد، والمكر فيه بمن تنقض غزلها من بعد قوة أنكاثًا، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل آية: ٩٢]. قَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ، وَالسُّدِّيُّ: هَذِهِ امْرَأَةٌ خَرْقَاءُ كَانَتْ بِمَكَّةَ، كُلَّمَا غَزَلَتْ شَيْئًا نَقَضَتْهُ بَعْدَ إِبْرَامِهِ، وقال مجاهد: هَذَا مَثَلٌ لِمَنْ نَقَضَ عَهْدَهُ بَعْدَ تَوْكِيدِهِ(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود: كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي الْإِمَامِ يَكُونُ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ الْعَدُوِّ عَهْدٌ فَيَسِيرُ إِلَيْهِ، رقم: (٢٧٥٩)، والترمذي: أَبْوَابُ السِّيَرِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الغَدْرِ، رقم: (١٥٨٠)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٣٧٠) وتفسير ابن كثير (٤/ ٧٩).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: رقم: (٢٣٧٢٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٤٢٧/ ٣٢٦٣١)، والبزار في مسنده (٦/ ٥٠٥/ ٢٥٤٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٢٨٣)، وتفسير البغوي (٥/ ٣٩) وتفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٩)، والدر المنثور (٥/ ١٦٢).

ولهذا قال تعالى بعده: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل:٩٢] أي: خديعة ومكرًا، وحذر الله ﷻ عباده من اتخاذ الأيمان دخلًا ـ أي: خديعة ومكرًا ـ لئلا تزل قدم بعد ثبوتها، مثل لمن كان على الاستقامة، فحاد عنها، وضلّ عن طريق الهدى، بسبب الأَيْمان الخائنة، المشتملة على الصدّ عن سبيل الله ﷻ؛ لأن الكافر إذا رأى أن المؤمن قد عاهده، ثم غدر به لم يبق له وثوق بالدين، فانصدّ بسببه عن الدخول في الإسلام، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل: ٩٤].

ولهذا قال بعده: ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ [النحل:٩٤] ثم نهى الله ﷻ عباده، وحذرهم عن الاعتياض عن الإيمان بالله ﷻ: عرض الحياة الدنيا، فإنها قليلة، ولو خيرت لابن آدم الدنيا بحذافيرها لكان ما عند الله تعالى من الجزاء، والثواب، خير لمن رجاه، وآمن به، وحفظ عهده رجاء موعوده؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ﴾ [النحل:٩٥-٩٦].

وإن المؤمنين يرعون عهودهم، ومواثيقهم، ويحفظونها؛ ويحافظون عليها؛ كما وصفهم ربهم بذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون:٨].

وليس من صفاتهم نقض العهود ونكْثها وعدم الوفاء بها، بل هذا وصف الفاسقين الكافرين؛ قال تعالى عنهم: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة آية: ٢٦-٢٧] .**وقد اختلف أهل التفسير في معنى العهد الذي وُصف هؤلاء الفاسقون بنقضه:**

١ ـ **قال بعضهم**: هُوَ وَصِيَّةُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وَنَهْيِهِ إِيَّاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ فِي كُتُبِهِ،

وَعَلَى لِسَانِ رُسُلِهِ، وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ هُوَ تَرْكُهُمُ الْعَمَلَ بِهِ.

٢ ـ **وَقَالَ آخَرُونَ**: بَلْ هِيَ فِي كُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ، وَعَهْدُ اللَّهِ ﷻ الَّذِي نَقَضُوهُ هُوَ مَا أَخَذَهُ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا فِيهَا، وَاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا بُعِثَ، وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ هُوَ جُحُودُهُمْ بِهِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَتِهِ، وَإِنْكَارِهِمْ ذَلِكَ، وَكِتْمَانِهِمْ عِلْمَ ذَلِكَ عَنِ النَّاسِ بَعْدَ إِعْطَائِهِمُ اللَّهَ تعالى مِنْ أَنْفُسِهِمُ الْمِيثَاقَ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا.

٣ ـ **وقال آخرون**: بَلْ عَنَى بِهَذِهِ الْآيَةِ جَمِيعَ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَالشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ. وَعَهْدُهُ إِلَى جَمِيعِهِمْ فِي تَوْحِيدِهِ: مَا وَضَعَ لَهُمْ مِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ، وَعَهْدُهُ إِلَيْهِمْ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ مَا احْتَجَّ بِهِ لِرُسُلِهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ غَيْرُهُمْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا، الشَّاهِدَةِ لَهُمْ عَلَى صِدْقِهِمْ، قَالُوا: وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ: تَرْكُهُمُ الْإِقْرَارَ بِمَا ثَبَتَتْ لَهُمْ صِحَّتُهُ بِالْأَدِلَّةِ، وَتَكْذِيبُهُمُ الرُّسُلَ، وَالْكُتُبَ، مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّ مَا أَتَوْا بِهِ حَقٌّ.

٤ ـ **وقال آخرون**: هو العهد الذي أخذه على النبيين، وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ.

٥ ـ **وقيل**: الْعَهْدُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، هُوَ الْعَهْدُ الذي أخذه عليهم، حين أخرجهم من صُلْب آدمَ، الَّذِي وَصَفَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وَنَقْضُهُمْ ذَلِكَ تَرْكُهُمُ الْوَفَاءَ بِهِ(١).

* **قلت**: ولا مانع من دخول ذلك كله في معنى الآية الكريمة.

وقد أمر الله ﷻ بني إسرائيل بالدخول في الإسلام، ومتابعة محمد

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٤١٠-٤١١)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢١٠-٢١١).

ﷺ، والوفاء بعهده الذي أخذه في أعناقهم، من تصديق محمد ﷺ، واتباعه، فيُنجز لهم ما وعدهم، ويفي لهم بعهدهم من وضع آصارهم، والأغلال التي كانت في أعناقهم بذنوبهم، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠].

قيل: عَهْدُهُ إِلَى عِبادِهِ: دِينُهُ الْإِسْلَامُ أَنْ يَتَّبِعُوه.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ أرض عَنْكُمْ وَأُدْخِلْكُمُ الْجَنَّةَ(١).

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٦/ ٤٤٠)، تفسير الطبري (١/ ٥٥٩).

الصفة الثامنة

الإعراض عن اللغو

إن من صفات المؤمنين المفلحين: إعراضهم عن اللغو، وقد بين الله تعالى في أول سورة «المؤمنون» أن هذه الصفة: الإعراض عن اللغو من صفات المؤمنين المفلحين الموعودين بالفردوس، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ٣].

ثم قال تعالى مبيّنًا لجزائهم بعد ذكر صفاتهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١٠-١١].

وأصل اللغو: ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، فيدخل فيه اللعب واللهو والهزل، وما توجب المروءة تركه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ على هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾: **عَنِ الْبَاطِلِ، وَهُوَ يَشْمَلُ: الشِّرْكَ - كَمَا قَالَهُ بَعْضُهُمْ - وَالْمَعَاصِي - كَمَا قَالَهُ آخَرُونَ - وَمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ**(١).

وما أثنى الله عَزَّ وَجَلَّ به على المؤمنين المفلحين في هذه الآية، أشار إليه في مواضع من كتابه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان: ٧٢] أي: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه؛ لأن من مرورهم به كرامًا إعراضهم عنه، وعدم مشاركتهم أصحابه فيه، وقد كان السلف الصالح مثالًا أعلى في تطبيق صفات المؤمنين؛ فقد ورد في تطبيق هذه الصفة أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مر بلهو فلم يقف، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَوْ أَمْسَى**

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٦٢).

كَرِيمًا»[(١)] ثم تلا إبراهيم بن ميسرة: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢].

وقال مقاتل في هذه الآية: **«وَإِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ من قومهم، يعني من الشر والشتم والأذى، أَعْرَضُوا عَنْهُ، يعني عن اللغو، فلم يردوا عليهم»**[(٢)].

وقيل: «**اللَّغْوُ**»: الْمَعَاصِي كُلُّهَا، يَعْنِي: إِذَا مَرُّوا بِمَجْلِسِ اللَّهْوِ وَالْبَاطِلِ مَرُّوا كِرَامًا مُسْرِعِينَ مُعْرِضِينَ. يُقَالُ: تَكَرَّمَ فَلَانٌ عَمَّا يَشِينُهُ إِذَا تَنَزَّهَ، وَأَكْرَمَ نَفْسَهُ عَنْهُ[(٣)].

ولما كان سلفنا الكرام مثالا يحتذى به مَن بعدهم إلى يوم القيامة في تطبيق الشريعة، والاتصاف بأوصاف المؤمنين التي نوّه الله ﷻ عنها في كتابه، وأثنى على أهلها لما كانوا كذلك؛ فحصلت لهم العزة والسيادة والكرامة في الدنيا فاستخلفهم الله تعالى في الأرض، ومكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، ونشروا العدل والأمن والرخاء، وفازوا برضاء الرب تعالى وجنته وكرامته في الآخرة، وتحقق فيهم وعد الله تعالى بقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥].

ما أحرانا، وما أجدرنا ـ أيها المسلم ـ أن نقتدي بسلفنا الصالح في التحلي بصفات المؤمنين، وتطبيق أحكام الدين؛ لتحصل لنا العزة والكرامة في الدنيا، والثواب والفوز في الآخرة، وفقنا الله ﷻ لذلك بمنه وكرمه.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٧٣٩/ ١٥٤٦٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٠).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٩٩).

وتفسير بعض السلف للغو بأنه يشمل كل باطل ولهو، وما لا يحل من القول والفعل: لا ينافي تفسير البعض الآخر منهم للغو بالشرك، أو بالمعاصي كلها؛ لأن الشرك والمعاصي من الباطل، بل عين الباطل.

وقد أخبر الله تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب، أن من أوصافهم: أنهم إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه، ولا يخالطون أهله، ولا يعاشرونهم، وإذا سفه عليهم سفيه، وكلمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه، أعرضوا عنه، ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح، ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب، قال الله تعالى إخبارًا عنهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥].

قيل: إن هذه الآية نزلت في نفر مِنَ النَّصَارَى، حِينَ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ مِنَ الْحَبَشَةِ. فَوَجَدُوهُ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَلَسُوا إِلَيْهِ وَكَلَّمُوهُ وَسَاءَلُوهُ ـ وَرِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ـ فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ مُسَاءَلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَمَّا أَرَادُوا، دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ؛ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ فَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ، ثُمَّ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ تَعَالَى وَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا كَانَ يُوصَفُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ أَمْرِهِ. فَلَمَّا قَامُوا عَنْهُ اعْتَرَضَهُمْ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُمْ: خَيَّبَكُمُ اللَّهُ مِنْ رَكْبٍ. بَعَثَكُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ تَرْتَادُونَ لَهُمْ لِتَأْتُوهُمْ بِخَبَرِ الرَّجُلِ، فَلَمْ تَطْمَئِنَّ مَجَالِسُكُمْ عِنْدَهُ حَتَّى فَارَقْتُمْ دِينَكُمْ وَصَدَّقْتُمُوهُ فِيمَا قَالَ؛ مَا نَعْلَمُ رَكْبًا أَحْمَقَ مِنْكُمْ. أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُمْ. فَقَالُوا لَهُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، لَا نُجَاهِلُكُمْ، لَنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، وَلَكُمْ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، لَمْ نَأْلُ أنفسنا خَيْرًا(١).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٤٥).

أيها المسلم: إن هذه الحياة قصيرة، فلا مجال فيها للهو واللعب، وساعات العمر معدودة، وما تلفظ من قول إلا لديك رقيب عتيد، فذو العقل الحصيف، والرأي الصائب لا يضيع أوقاته وساعاته المحدودة المعدودة في لهو وباطل، ومخالطة ومعاشرة لأهله، بل يَرْبَأ بنفسه عن مثل ذلك، ولا يُقحمها فيما فيه هلاكها؛ بل العاقل يكون على الهمة، طاهر النفس، يحمل نفسه على مكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، ويبتعد عن الرذائل، وسفاسف الأخلاق، لاسيّما وديننا الحنيف يأمرنا بذلك، ويحثنا على التحلي بمكارم الأخلاق، ومحاسن السجايا، ويُنَوّه بالمؤمنين، ويثني عليهم في اجتنابهم اللغو وإعراضهم عنه، ويعدهم على ذلك الثواب الجزيل، ويخبر أنهم أهل الفلاح.

فكن يا أخي من هؤلاء، لعلك تحظى بالفلاح والفوز العظيم. رزقنا الله تعالى العلم النافع، والعمل الصالح، وجعلنا ممن يستمع القول فيتّبع أحسنه.

الصفة التاسعة

فعل الزكاة

من صفات المؤمنين المفلحين الذين وعدهم الله الفردوس: فعل الزكاة قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون:٤] ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ [المؤمنون:١٠-١١].

أخي المسلم: ما المراد بفعل الزكاة الذي هو من أوصاف المؤمنين المفلحين؟

■ **الجواب:** في المراد بالزكاة في هذه الآية وجهان من التفسير، معروفان عند أهل العلم[١]:

أحدهما: أَنَّ الْمُرَادَ بِالزَّكَاةِ هَاهُنَا: زَكَاةُ الْأَمْوَالِ؛ مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَإِنَّمَا فُرِضَتِ الزَّكَاةُ بِالْمَدِينَةِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الَّتِي فُرِضَتْ بِالْمَدِينَةِ إِنَّمَا هِيَ ذَاتُ النُّصُبِ وَالْمَقَادِيرِ الْخَاصَّةِ، وعلى هذا التفسير فيكون من أوصاف المؤمنين: فعل الزكاة، ودفعها من أموالهم للمستحقين؛ ولا شك أن زكاة الأموال تزكي النفوس، وتطهرها من الشح والبخل، وتسمو بها إلى البذل والإنفاق، واليد العليا خير من اليد السفلى، وهي الآخذة.

الثاني: أن المراد بالزكاة: زَكَاةُ النَّفْسِ مِنَ الشِّرْكِ وَالدَّنَسِ، أيْ: تطهيرها من الشرك والمعاصي بالإيمان بالله تعالى، وطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٦٢).

وهذا المعنى جاء في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس: ٧] ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٩] أي: طهَّر نفسه من الشرك والمعاصي، وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] وكقوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝٨١﴾ [الكهف: ٨١].

ويؤيد هذا التفسير: أن الآية مكّية، وأنه لم يُعبِّر في الآية بالإيتاء، ولم يقرنها بالصلاة، فدلّ على أن المراد بها زكاة النفس من دنس الشرك والمعاصي.

ولا مانع من إرادة المعنيين من الآية، فيكون من وصف المؤمنين، تزكية النفوس، وتزكية الأموال.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالزَّكَاةِ هَاهُنَا: زَكَاةُ النَّفْسِ مِنَ الشِّرْكِ وَالدَّنَسِ** ـ إلى أن قال ـ: **وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كِلَا الْأَمْرَيْنِ مُرَادًا، وَهُوَ زَكَاةُ النُّفُوسِ وَزَكَاةُ الْأَمْوَالِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ زَكَاةِ النُّفُوسِ، وَالْمُؤْمِنُ الْكَامِلُ هُوَ الَّذِي يَتَعَاطَى هَذَا وَهَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ**»[(١)].

وإذا عرفت ـ أخي المسلم ـ: أن من صفات المؤمنين الفائزين فعل الزكاة وسواء كان المراد بها زكاة المال أو زكاة النفس، فإن ذلك يطهر النفس ويزكّيها ويُصفِّيها، ويجلوها، ويصقلها من أدران المعاصي، والشحّ، والبخل.

فزَكِّ نفسك يا أخي، وزكِّ مالك لتُنقّي نفسك مما علق بها من أدران المعاصي، والبخل، لتفوز بما وعد الله تعالى به الذين هم للزكاة فاعلون من الفلاح، ووراثة الفردوس في الآخرة، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٦٢).

الصفة العاشرة
التصديق بيوم الدين

إن من صفات الإنسان المسلم المحمودة، التي تستحق الثناء: التصديق بيوم الدين، **والتصديق بيوم الدين هو:** أن يوقن المسلم بالمعاد، والحساب، والجزاء، فيعمل عمل مَن يرجو الثواب، ويخاف العقاب.

وهذه الصفة إنما تكون لمن: عصمه الله تعالى ووفقه وهداه إلى الخير، ويسّر له أسبابه، وإلا فالإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم، ومجبول على الأخلاق الدنيئة إذا مسه الضرّ فزع وجزع، وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيِسَ أن يحصل له بعد ذلك خير، وإذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها، إلا من عصمه الله ﷻ، فأدام الصلاة، وصدّق بيوم الدين، وخاف من عذاب الله تعالى، واتصف بالصفات الحميدة التي جاء بها الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ١٩-٢٣] ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [المعارج: ٢٦-٢٧].

هكذا ـ أيها المسلم ـ يكون التصديق بيوم الدين من أوصاف الإنسان المسلم المحمودة، التي يستحق المدح والثناء عليها، كيف لا وهو حافز قوي على التحلِّي بمكارم الأخلاق؛ وتطبيق تعاليم الإسلام السمحة، والبعد عن سفاسف الأمور ودنايا الأخلاق، كيف لا

والتصديق بيوم الدين من الإيمان بالغيب الذي أثنى الله تعالى على أهله، وأخبر أنهم مهتدون، ومن أهل الفلاح، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٣] ـ إلى قوله ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة:٥].

فلا عجب بعد هذا أن يَعِدَ الله تعالى من صدق بيوم الدين مع بقية الأوصاف الأخرى بالإكرام في الجنات، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج:٣٥]

وما ذاك يا أخي المسلم إلا لأن المصدق بيوم الدين يعلم أنه بعد انقضاء هذه الحياة الدنيا سيكون هناك: معاد وبعث للأجساد من قبورها، ثم وقوف بين يدي الله ﷻ ثم حساب على الصغير، والكبير، والحسن، والسيئ؛ ثم جزاء عليها جزاء على الحسنة بالثواب، وعلى السيئة بالعقاب: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة:٧-٨]. وهناك ميزان توزن فيه أعمال العباد صغيرها وكبيرها، حتى الخردلة: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف:٤٩]. **فمن عمل صالحًا**: ثقلت موازينه، فأفلح وفاز بالجنات، **ومن عمل سيئًا**: خفت موازينه، فهلك وخسر وخاب بدخول النار ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف:٨-٩].

والتصديق بيوم الدين يبعث على العمل الصالح ويزجر عن السيئات؛ هذا التصديق بهذا اليوم العظيم، وهو يوم الدين، الذي هو قائم بالقلب، يبعث على العمل رغبة، ورهبة؛ رغبة فيما عند الله تعالى

من الكرامة، ورهبة فيما عنده من العقوبة والعذاب الشديد.

فإذا أيقن المسلم بيوم الدين، وصدّق تصديقًا جازمًا لا يعتريه شك، عَمِل على نجاة نفسه، وتخليصها من أوضارها، ودنسها، الذي يهلكها، والنهوض بها إلى ما فيه عزها وكرامتها، كيف لا وهو يقرأ قول الله تعالى في جزاء الكافرين والمؤمنين في الآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ [النساء: ٥٦-٥٧].

تالله إن آيات القرآن لو خوطب بها جبل لتصدع: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر آية: ٢١]. **فكيف بالإنسان** ذي الإحساس والشعور، **فكيف بالمسلم** الذي هذّب الإسلام نفسه، وصفى سريرته، وجعله رقيبًا على نفسه، وسما به إلى الإيمان بالمُغيَّبات، فصدق بيوم الدين، فوعده الله تعالى على ذلك الإكرام في الجنات.

إن المصدّق بيوم الدين ـ أخي المسلم ـ **يتحتَّم عليه**: أن يراقب الله تعالى في سرّه وعلنه، وأن يحافظ على آداب الإسلام وتعاليمه فيرعاها.

إن المصدق بيوم الدين: يسارع إلى الخيرات، ويضْرع إلى الله تعالى بالدعاء رغبة ورهبة، ليكون في عِداد من قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

إن المصدق بيوم الدين: وَجِلُ القلب من الله تعالى، يخشى عقابه، فيجتنب محارمه، ومساخطه، ومناهيه.

إن المصدق بيوم الدين: يعتز بإسلامه، فقد رضي بالله تعالى ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ رسولًا ونبيًّا.

إن المصدق بيوم الدين: يقيم إسلامه بأركانه الخمسة؛ فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت مع الاستطاعة.

إن المصدق بيوم الدين: يتصوّر وقوفه بين يدي الله تعالى للحساب فيتمسك بما جاء به الإسلام من تصورات ومُثُل وسلوك، لاعتقاده أن الفخر والاعتزاز بما جاء به الإسلام كيف لا، وقد رضيه الله ﷻ لنا دينًا: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة:٣]، ولا يقبل الله تعالى من أحد دينًا سواه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥].

إن كل ما سبق يا أخي الكريم نتيجة حتمية للتصديق بيوم الدين، وضعفُه أو نقصُه من ضعفِ أو نقصِ التصديق بيوم الدين.

الصفة الحادية عشرة
الإشفاق من عذاب الله

إن من صفات المؤمنين التي نوّه الله بها، وأثنى على عباده في اتصافهم بها: الإشفاق من عذاب الله تعالى، والخوف من عقابه وسطوته، فإن الله تعالى شديد العقاب، كما أنه غفور رحيم، كما قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٩٨﴾ [المائدة: ٩٨].

وهذه الصفة ـ أيها المسلم ـ وهي الخوف والوجل والإشفاق من عذاب الله تعالى، إذا وجدت في القلب انبعثت الجوارح على العمل فعلًا وتركًا؛ فعلًا للأوامر، وتركًا للنواهي، وما أُرسلت الرسل، وما أُنزلت الكتب إلا لتكليف العباد بالأوامر والنواهي، ومن أجل هذا استثنى الله سبحانه وتعالى من وجدت فيه صفة الإشفاق والخوف من عذاب الله تعالى ـ استثناه ـ من الكثير والغالب المطبوع، والمجبول على الأخلاق الدنيئة، من الجزع عند الإمساس بالشر، والمنع عند حصول الخير، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].

ثم ذكر من أوصافهم: الخوف من عذاب الله عز وجل فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٢٧﴾ [المعارج: ٢٧]. ثم بين جزاءهم، وأنه الإكرام في الجنات؛ فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج: ٣٥] وذلك أن عذاب الله تعالى لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله تعالى أمره إلا بأمان، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ۝٢٨﴾ [المعارج: ٢٨].

فالخوف والوجل حادٍ يحدو بالإنسان إلى ما يرضى، وباعث يبعثه

على العمل لما يقرب إلى الله تعالى من عبادته وتوحيده وطاعته؛ مع الإحسان والإتقان والإخلاص، واجتناب ما يسخطه من الشرك، والمعاصي، والفسوق والعصيان.

ولهذا ذكر الله تعالى أن من أوصاف الأبرار المنعَّمين في الجنات، الذين يشربون الكأس الممزوج بالكافور - ذكر من أوصافهم -: الخوف والوجل من أهوال يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ [الإنسان: ٥].

ثم ذكر من أوصافهم وأعمالهم التي بها فازوا بهذا النعيم، قولهم: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان: ١٠]. ثم قال تعالى مبينًا أنه أمنهم مما يخافون، وأعطاهم ما يطلبون، فقال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان: ١١].

وقد توعد الله تعالى مَنْ أمن مكر السيئات بالخسف، أو العذاب بغتة من دون أن يشعر، فقال: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٥-٤٧].

وبين الله تعالى في آية أخرى، أن من يأمن مكر الله تعالى خاسر، فقال: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

وبيَّن تعالى أنه يسجد له ما في السماوات وما في الأرض من دابة ومن ملائكته، وأنهم لا يستكبرون عن عبادة الله تعالى؛ بل يفعلون ما يأمرهم الله تعالى به خوفًا من ربهم العالي بذاته، وقهره، وقدره؛ فقال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٩-٥٠].

وهذه الصفة من أوصاف المؤمنين العظيمة التي استحقوا بها الإكرام في الجنات؛ وهي الخوف والوجل من عذاب الله تعالى من أعمال القلوب العظيمة، التي تبعث على إحسان أعمال الجوارح؛ وذلك أن من قام بقلبه الخوف، أسرع في السير إلى ربه والتقرب إليه بما يرضيه، والبعد والحذر مما يسخطه.

من أسرع في السير يوشك أن يصل إلى ما يريد؛ كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ**»(١).

وقد أثنى الله تعالى على أهل الخشية، والخوف مع إحسان العمل وإتقانه، وبين أنهم يُعطون العطاء، وهم خائفون أن لا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط؛ وبيّن أنهم يبادرون إلى الأعمال الصالحة، وأنهم إليها سابقون؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [المؤمنون:٥٧]، أَيْ هُمْ مَعَ إِحْسَانِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ مُشْفِقُونَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى خَائِفُونَ مِنْهُ، وَجِلُونَ مِنْ مَكْرِهِ بِهِمِ(٢).

ثم قال تعالى في آخر أوصافهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

وفي المسند والترمذي، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠]؛ أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «**لَا، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، أَوْ يَا بِنْتَ**

(١) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، رقم: (٢٤٥٠) وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٤١٨).

الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ»(١).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**عَمِلُوا وَاللَّهِ بِالطَّاعَاتِ، وَاجْتَهَدُوا فِيهَا، وَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ**»(٢).

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَشَفَقَةً، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا**»(٣).

وقد أمر الله تعالى بالخوف، والخشية، والرهبة منه، وتقواه ﷻ فقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٥]. وقال ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤]. وقال: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة:٤٠]. وقال: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة:٤١].

وبيّن أن العلماء العاملين هم أهل خشيته الكاملة، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ﴾ [فاطر:٢٨]. وإن كان كل مؤمن يخشى الله تعالى، والخوف من الله هو أصل كل خير.

ومن كلام أبي سليمان الداراني رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَأَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى**»(٤)، وذلك أن من يخاف الله ﷻ لا يصر على معصيته، ومن لم يخف الله تعالى لا تؤمن غوائله وغدره وخديعته ومكره، بل يتغير بتغير الأحوال والأغراض، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨] وكما قيل: من لم يخف الله خَف منه.

---

(١) أخرجه أحمد، (٢٥٢٦٣)، والترمذي: أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ، رقم: (٣١٧٥)، وابن ماجه: كتاب الزهد، بَابُ التَّوَقِّي عَلَى الْعَمَلِ، رقم: (٤١٩٨).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٥/ ٤٢١)، وتفسير السمعاني (٣/ ٤٨٠).
(٣) انظر: الزهد والرقائق لابن المبارك (١/ ٣٥٠/ ٩٨٥)، وتفسير الطبري (١٧/ ٦٨).
(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٨١/ ٥٣٢٧)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٥٩).

فالخوف من الله تعالى ـ أيها المسلم ـ **يجعل على الإنسان من نفسه رقيبًا** في جميع حركاته وسكناته، فلا يتحرك ولا يسكن، ولا يفعل شيئًا، ولا يترك شيئًا إلا وفق تعاليم الإسلام السمحة، امتثالًا لما يطلبه، ويأمر به ويرغب فيه، واجتنابًا لما تحظره عليه وينهاه عنه؛ فالخوف رافع وباعث على العمل، وحاجز ومانع ورادع عن كل ما يكون سببًا في الهلاك والشقاء والخيبة والحرمان.

رزقنا الله تعالى الخوف والخشية من الله والإشفاق من عذابه، بمنه وكرمه.

الصفة الثانية عشرة
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن من صفات المؤمنين التي أثنى الله تعالى بها عليهم، وبيّن أنها من أسباب الرحمة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة: ٧١].

ثم ذكر الله تعالى جزاءهم الطيب، وثوابهم الجزيل، فقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوصاف الذين ينصرون الله تعالى الموعودين بنصر الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

وهذه الأمة المحمدية جعلها الله ﷻ خير أمة، بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، مع الإيمان بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وأوجب الله تعالى على هذه الأمة أن تكون منها طائفة تدعو إلى

الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وأخبر أنهم - بذلك - صاروا من أهل الفلاح، ونهاهم عن التفرق والاختلاف؛ لأنه من أسباب الهلاك، فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

وأثنى الله على طائفة من أهل الكتاب، وذكر أن من أوصافها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيّن سبحانه أنها داخلة في عداد الصالحين، فقال تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤].

ونعت الله ﷻ المؤمنين الذين اشترى منهم أنفسَهم وأموالَهم، إذ بذلوها في سبيله، وعاوضهم بها الجنة؛ ونعتهم بصفات جميلة، وخلال جليلة، ومن هذه الصفات أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ﴾ [التوبة: ١١١].

ثم نعتهم فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

وقد أمر الله ﷻ نبيه أن يأمر عباده بالمعروف، فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]. **والمراد بالعرف:** المعروف، وكل ما يعرفه الشرع، ويدخل في ذلك: جميع الطاعات؛ فالأمر بالمعروف دعوة إلى الله تعالى وإلى شرعه؛ فهي سبيل الرسول ﷺ، وسبيل أتباعه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو إلى سبيله، وأن تكون دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي أحسن، فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]. وخطاب الرسول ﷺ خطاب لأمته، فتكون مقصودة بالخطاب.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقٌ من أخلاق المؤمنين، ووصْفٌ من أوصافهم الحميدة؛ وما ذاك إلا لأنه دعوة إلى الله وإلى دينه.

وما انتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها إلا بالدعوة إليه، وبيان محاسنه، وفضائله وآدابه؛ والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ ولكن الداعية إلى الله والآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، لابد أن يصيبه أذى؛ فهو محتاج إلى الصبر على ما يصيبه من أذية الناس له بالقول أو بالفعل؛ ومن وصية لقمان الحكيم لابنه فيما حكى الله تعالى عنه: إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى، قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان: ١٧].

وقد أقسم الله تعالى أن كل إنسان خاسر إلا من آمن وعمل، ودعا إلى الله ﷻ، وصبر على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر: ١-٣].

فشملت هذه السورة ـ على قصرها ـ **جميع شرائع الإسلام**، وعلى ما فيه الربح والفلاح والفوز، وهو الإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر؛ ولذلك يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم(١).

---

(١) سبق تخريجه.

- **والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ينبغي له أن يعرف ثلاثة أمور قررها أهل العلم:**

الأول: أن يعرف ما يأمر به وما ينهى عنه.

الثاني: أن يكون رفيقًا فيما يأمر به، وفيما ينهى عنه.

الثالث: أن يكون صابرًا على ما يصيبه من الأذى في ذلك.

كما قرر أهل العلم أنه إذا كان يحصل بسبب إنكار المنكر افتراق، أو كان يترتب على إنكاره حصول منكر أعظم منه، لم يجز إنكاره؛ لأن الإنكار في هاتين الحالتين مضرة على الدين والدنيا، والمسلم يسعى فيما فيه صلاح دينه ودنياه؛ **فالواجب على من أراد إنكار المنكر أن يعرف:**

أولاً: أن هذا مخالف لأمر الله تعالى، فإن المعرفة أول درجات الإنكار؛ فلا يجوز إنكار مسألة لا يعرف حكم الله ﷻ فيها، ثم يجب عليه.

ثانيًا: إذا ذُكر له منكر فعليه التثبت، وعدم التسرع والعجلة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦].

فإذا ظهر وتبين وتحقق أنه منكر، وجب عليه.

ثالثًا: الإنكار بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، فإن ذلك أدعى إلى القبول، قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

وإذا كان الله تعالى نهى عن مجادلة من لم يظلم من أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت آية: ٤٦]؛ فغيرهم من الأمة المحمدية أولى بأن لا يجادل من لم يظلم منهم، إلا بالتي هي

أحسن؛ ثم إنه يجب على المُنْكِر.

رابعًا: أن يعمل بالظاهر، وأن لا ينقِّب عن السرائر، ويفتش عن ما خفي أمره.

فإن النبي ﷺ كان يعرف منافقين بأعيانهم، ويقبل علانيتهم، ويَكِلُ سرائرهم إلى الله تعالى، فإذا ظهر منهم، وتحقق ما يوجب جهادهم، جاهدهم؛ وكذلك كان الصحابة ﷺ؛ فإن عمر رضي الله عنه قتل منافقًا أظهر نفاقه، وأعلن أنه لم يرض بحكم رسول الله ﷺ.

ـ **والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة المؤمنين الموعودين برحمة الله تعالى**؛ وما ذاك إلا لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحصل به مصالح عديدة، من انتشار فضائل الإسلام، ومحاسنه، وتقليل الشر، والفساد.

وكان يجب أن يكون الرفق والحكمة من صفات الآمر والناهي؛ لأن الاستجابة والقبول ـ في الغالب ـ أثران من أثر الرفق والحكمة، وكثير من القضايا يستجاب فيها لمن يرفق، ولا يستجاب لمن يعنِّف أو يشتد، وإن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على الشدة، والله تعالى يقول لنبيه الكريم: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ـ **وإنكار المنكر يجب بحسب الاستطاعة**؛ فهو فرض باليد، واللسان، والقلب، مع القدرة؛ فأما فرضه باليد واللسان فإنه من فروض الكفايات؛ إذا قام به طائفة سقط عن الباقين، وإن تركوه كلهم أثموا، وأما القلب فلا يسقط عنه بحال، يقول النبي ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**» أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه [(١)]

(١) سبق تخريجه.

وفي رواية له: «**وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»[١].

وإن خاف من إنكار المنكر ـ باليد أو باللسان ـ: حصولَ منكر أعظم، سقط الإنكار، وأنكر بقلبه؛ فقد نصّ العلماء على أن المنكر إذا لم يحصل إنكاره إلا بحصول منكر أعظم منه، أنه لا ينبغي؛ وذلك لأن مبنى الشريعة على تحصيل المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها.

ـ **والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من آكد الأصول الإسلامية، وأوجبها وألزمها**؛ وقد ألحقه بعض العلماء بالأركان التي لا يقوم بناء الإسلام إلا عليها، فقد عدّه بعض العلماء ركنًا سادسًا من أركان الإسلام، وعند أكثرهم هو من فروض الكفاية، لا يسقط عن المكلفين إلا إن قام به طائفة يحصل بها المقصود الشرعي.

وفرض الكفاية آكد من فرض العين من جهة متَعَلَّقِه؛ لأن الخطاب به لجميع الأمة.

والنصوص الشرعية الدالة على وجوبه لا تخفى على آحاد العامة من المسلمين، فضلًا عن الطلبة والمتعلمين؛ وإنما أُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب للأمر بالمعروف، الذي رأسه وأصله التوحيد، والنهي عن المنكر الذي رأسه وأصله الشرك؛ وشرع الجهاد لذلك؛ وهو قدر زائد على مجرد الأمر والنهي؛ ولولا ذلك ما قام الإسلام ولا ظهر دين الله تعالى، ولا علت كلمته، ولا يرى تركه والمداهنة فيه إلا من أضاع حظه ونصيبه من العلم، وتركه على سبيل المداهنة والمعاشرة، وحسن السلوك كما يفعله بعض الناس أعظم ضررًا، وأكبر إثمًا من تركه لمجرد الجهالة، إذ أن هذا الصنف من الناس رأوا أن السلوك وحسن الخلق، ونبل المعيشة لا يحصل إلا بذلك، فخالفوا الرسل وأتباعهم، وخرجوا

(١) كتاب الإيمان، رقم: (٥٠).

عن سبيلهم ومناهجهم؛ لأنهم يرون العقل إرضاء الناس على طبقاتهم مسالمة لهم، واستجلابًا لمودتهم ومحبتهم، وهذا مع أنه لا سبيل إليه، فيه إيثار للخطوط النفسانية، والدعة، والراحة، وترك المعاداة في الله ﷻ، وتحمّل الأذى في ذاته؛ وهذا في الحقيقة هو الهلكة في الآجلة، فما ذاق طعمَ الإيمان من لم يوال في الله ويعاد فيه، فالعقل، والرزانة، والرشد في ما يوصِل إلى رضى الله ورسوله، وهذا إنما يحصل بمراغمة أعداء الله، وإيثار مرضاة الله، والغضب إذا انتهكت محارم الله ﷻ.

- **وقد دلت النصوص على:**

١ - أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ - وجوبه.

٣ - أن القائم به خير الناس وأفضلهم.

٤ - أن الخيرية لا تحصل إلا بذلك.

٥ - أن الفلاح محصور في أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الفوز بالسعادة الأبدية.

- **وقد وردت نصوص كثيرة في الوعيد على تركه**، مثل قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

ففي هذه الآية: لعنهم على ألسن أنبيائهم بترك النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، واللعن هو: الطرد والإبعاد عن الله ﷻ وعن رحمته؛ وجاء في معنى الآية عن النبي ﷺ حديث: «**إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا إِذَا عَمِلَ الْعَامِلُ مِنْهُمْ بِالْخَطِيئَةِ نَهَاهُ النَّاهِي تعذيرًا، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ جَالَسَهُ وَوَاكَلَهُ وَشَارَبَهُ، كَأَنَّهُ لَمْ يَرَهُ عَلَى خَطِيئَةٍ بِالْأَمْسِ، فَلَمَّا رَأَى**

اللهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَرَبَ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ»(١).

وذكر ابن أبي الدنيا، عن إبراهيم بن عمرو الصنعاني قال: أَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَى يُوشَعَ بْنِ نُونٍ أَنِّي مُهْلِكٌ مِنْ قَوْمِكَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ خِيَارِهِمْ، وَسِتِّينَ أَلْفًا مِنْ شِرَارِهِمْ، قَالَ: يَا رَبِّ، هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارُ، مَا بَالُ الْأَخْيَارِ؟، قَالَ: **«إِنَّهُمْ لَمْ يَغْضَبُوا لِغَضَبِي، وَكَانُوا يُؤَاكِلُونَهُمْ وَيُشَارِبُونَهُمْ»**(٢).

وذكر أيضا من حديث عمر رضي الله عنه: **«لَيَنْتَقِضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، حَتَّى لَا يُقَالُ: اللَّهُ اللَّهُ. لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ، فَلَيَسُومُونَّكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ. لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ لَا يَرْحَمُ صَغِيرَكُمْ وَلَا يُوَقِّرُ كَبِيرَكُمْ، وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا فَلَيْسَ مِنَّا»**(٣).

وفي المسند مرفوعًا: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجِيبُكُمْ، وَتَسْأَلُونِي**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/١٤٦/١٠٢٦٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١١٨١/٦٦٦١)، وأبو يعلى في مسنده (٩/٢٧/٥٠٩٤)، قال الهيثمي في المجمع وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف (١/١٠٩/٧٥)، والمقدسي في الأمر بالمعروف (١/٣٧/٤٣)، قال العراقي في تخريج الإحياء: لم أَقف عَلَيْهِ مَرْفُوعا.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (١/٣٨/٣٤)، والمقدسي في الأمر بالمعروف (١/٣٢/٣٦).

فَلَا أُعْطِيكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُونِي، فَلَا أَنْصُرُكُمْ»[(١)].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه: **«مَا تَرَكَ قَوْمٌ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا لَمْ تُرْفَعْ أَعْمَالُهُمْ، وَلَمْ يُسْمَعْ دُعَاؤُهُمْ»**[(٢)].

وذكر الإمام أحمد، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **تُوشِكُ الْقُرَى أَنْ تَخْرَبَ وَهِيَ عَامِرَةٌ، قِيلَ: كَيْفَ تَخْرَبُ وَهِيَ عَامِرَةٌ؟ قَالَ: إِذَا عَلَا فُجَّارُهَا أَبْرَارَهَا وَسَارَ الْقَبِيلَ مُنَافِقُوهَا»**[(٣)].

وفي بعض الآثار: **أن الله أوحى إلى جبرائيل أن اخسف بقرية كذا وكذا، فَقَالَ: يَا رَبِّ، فِيهَا فُلَانٌ الْعَابِدُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ «أَنْ بِهِ فَابْدَأْ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ وَجْهُهُ فِيَّ سَاعَةً قَطُّ»**[(٤)].

وقال ابن عبدالبر رحمه الله: **«بَعَثَ اللَّهُ مَلَكَيْنِ إِلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ: أَنْ دَمِّرَاهَا بِمَنْ فِيهَا، قَالَ: فَوَجَدَا فِيهَا رَجُلًا قَائِمًا يُصَلِّي فِي مَسْجِدِهِ، فَعَرَجَ أَحَدُهُمَا لِلَّهِ تَعَالَى فَقَالَ: رَبَّنَا، وَجَدْنَا فِيهَا عَبْدَكَ فُلَانًا قَائِمًا يُصَلِّي فِي مَسْجِدِهِ، فَقَالَ: دَمِّرَاهَا وَدَمِّرَاهُ مَعَهُمْ؛ فَإِنَّهُ مَا تَمَعَّرَ وَجْهُهُ فِيَّ قَطُّ»**[(٥)].

- **فإنكار المنكر - أيها المسلم - والغضب لله ينشأ من:** حياة القلب وغيرته وتعظيمه، وإذا عَدِم المسلم: الحياة والغيرة والتعظيم، وعدم الغضب والاشمئزاز، وتساوى عنده الخبيث والطيب في معاملته وموالاته ومعاداته، فأيّ خير يبقى في قلبٍ هذا شأنه؟!

ولو لم يكن إلا مشابهة المغضوب عليهم والضالين في الأنس بأهل المعاصي، ومواكلتهم ومشاربتهم، لكفى بذلك عيبًا وذمًّا.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند رقم: (٢٥٢٥٥)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٦٠/ ٢٠٢٠٠).
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف (١/ ١٠٣/ ٦٧)، والمقدسي في الأمر بالمعروف (١/ ٥١/ ٦٩).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (١/ ٤٦/ ٤٤).
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف (١/ ١٠٨/ ٧٤).
(٥) أخرجه ابن وضاح في البدع (٢/ ١٨٩/ ٢٨٩).

ـ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوام دين الله ﷻ.

وتركه وإهماله: سببٌ لحلول العقوبات والمَثُلات، والطرد والإبعاد عن رحمة الله، كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة:٧٨]. ثم بيّن سبب اللعن فقال: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ [المائدة:٧٩].

وقد قصّ الله علينا في القرآن الكريم قصة أصحاب السبت؛ لنأخذ العبرة فلا يصيبنا ما أصابهم، **وأن أهل هذه القرية صاروا إلى ثلاث فرق:**

فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت الذي نهاهم الله عن الاصطياد فيه.

وفرقة نهتهم عن ذلك واعتزلتهم.

وفرقة سكتت؛ فلم تفعل المنهي عنه ولم تنه عن فعلته، ولكنها قالت للفرقة المنكرة: لِمَ تنهون هؤلاء، وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله، فلا فائدة في نهيكم إياهم، فقالت الفرقة المنكرة لهم: نفعل ذلك معذرة إلى ربكم فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولعل هذا الإنكار يؤثر فيهم فيتّقون ما هم فيه ويتركونه، ويرجعون إلى الله تائبين، فلما أبى الفاعلون للمنهي عنه قبولَ النصيحة نجّى الله الناهين، وأهلك الظالمين.

وانظر ـ أخي المسلم ـ إلى هذه الآيات التي يقصها عليك رب العزة والجلال في شأن أصحاب السبت وفرقهم الثلاث، يقول الله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف:١٦٣-١٦٥].

فنص الله تعالى على نجاة الناهين وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحًا فيمدحون ولا ارتكبوا عظيمًا فيذمون؛ **ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم: هل كانوا من الهالكين، أو من الناجين؟ على قولين:**

أحدهما: أن الساكتين كانوا من الناجين.

الثاني: أن الساكتين كانوا من الهالكين.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: نَجَتِ النَّاهِيَةُ، وَهَلَكَتِ الْفِرْقَتَانِ، وَهَذِهِ أَشَدُّ آيَةٍ فِي تَرْكِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ(١).

ولكن الشيطان قد فتح للكثير من الناس أبوابًا من الشر في إسقاط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألقاها على أناس يظنون أنهم مهتدون، فاعتقدوها أعذارًا لهم، وإنما هي من زخارف الشياطين.

نسأل الله تعالى العفو والعافية؛ فان هؤلاء قد التمسوا رضى الناس بسخط الله، ومن التمس رضى الناس بسخط الله تعالى سخط الله تعالى عليه، وأسخط عليه الناس.

نستجير بالله ﷿ من غضبه، ومن أليم عقابه، ونعوذ برضاك ـ اللهم ـ من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا نحصي ثناء عليك.

❖ ❖ ❖

أخي المسلم: إن من حكمة الله تعالى أن ابتلى عباده المؤمنين الداعين إلى الله، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، أتباع رسول الله ﷺ في الدعوة إلى دين الله تعالى، **ابتلاهم بثلاثة أصناف من الناس ـ وكل صنف له أتباع ـ:**

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٢٤٣)، وتفسير الوسيط للواحدي (٢/ ٤٢١)، وتفسير الخازن (٢/ ٢٦٣).

الصنف الأول: من عرف الحق فعاداه حسدًا وبغيًا، كاليهود، فإنهم أعداء الرسل والمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة:٩٠]. وقال: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة:١٤٦].

الصنف الثاني: أهل الأموال، الذين فتنتهم دنياهم، وشهوتهم؛ فهم لا يقبلون الحق لما يعلموا من أن الحق يمنعهم من كثير مما أحبوا، وأُلِفوا من شهوات، فلم يعبؤوا بداعي الحق، ولم يقبلوا منه، والناس تبع لهم في ذلك، وقد قال الله ﷻ في هذا الصنف: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص:٥٠].

الصنف الثالث: الذين نشؤوا في باطل وجدوا عليه أسلافهم؛ فهم يظنون أنهم على حق، وغيرهم على الباطل، فهؤلاء لا يعرفون إلا ما نشؤوا عليه، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وقد قال الله تعالى عن هذا الصنف: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف:٢٢]. وقال: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الصافات:٦٩-٧٠].

وكل هذه الأصناف الثلاثة وأتباعهم أعداء الحق من لدن زمن نوح - عليه الصلاة والسلام - إلى أن تقوم الساعة، **فالواجب على المسلم** أن يقوم بهذا الواجب العظيم - واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وليعلم أن الله تعالى مبتليه في هذه الحياة الدنيا، ليظهر صدقه، وصبره، ووقوفه أمام الحق، ودعوته إلى الله تعالى، وإلا فالله ﷻ قادر على هداية الناس في لحظة واحدة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس:٩٩]. ولا تجوز المداهنة في دين الله

تعالى، وكم كان الكفار يودّون مداهنة رسول الله ﷺ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم: ٩].

والعقوبات إذا نزلت، فالمداهن داخل فيها؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]؛ لأن الساكت المداهن عاصٍ لله تعالى ورسوله ﷺ، ويشهد لهذا ما جاء عن بعض السلف: «**السَّاكِتُ عَنِ الْحَقِّ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ، والْمُتَكَلِّمُ بِالْبَاطِلِ شَيْطَانٌ نَاطِقٌ**»(١).

فلو علم المداهن الساكت أنه من أبغض الخلق عند الله تعالى، وإن كان يرى أنه طيب لتكلم وصدع بالحق، ولو علم طالب رضى الخلق بترك الإنكار عليهم أنه عاص لله ﷻ، تارك للواجب، وإن كان يظن أنه مطيع لله تعالى من مداهنته لنزع؛ ولو تحقق من بخل بلسانه عن الصدع بأمر الله تعالى إنه شيطان أخرس، وإن كان صائمًا قائمًا لما اختار مشابهة الشيطان، لسكوته عن الحق.

وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعا: «**مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا**»(٢) أخرجه البخاري، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

فتأمل هذا الحديث، فإنه كافٍ لك في معرفة عظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفق الله تعالى الجميع لمرضاته.

---

(١) ذكره ابن القيم في الداء والدواء (١/ ٢٣٥)، وإعلام الموقعين (٢/ ١٢١).
(٢) أخرجه البخاري: كِتَاب الشَّرِكَةِ، بَابٌ: هَلْ يُقْرَعُ فِي القِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ، رقم: (٢٤٩٣).

الصفة الثالثة عشر
الإنفاق في السراء والضراء

لقد ذكر الله تعالى هذه الصفة من صفات المتقين، الذين أعد لهم الجنة، مع أوصاف أخرى، جزاءً لهم على أعمالهم الطيبة الصالحة، مع وعدهم بالمغفرة من ربهم لذنوبهم، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

ومعنى الإنفاق في السراء والضراء أي: في الشدة والرخاء، والمنشط والمكره، والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

ثم ذكر جزاءهم فقال: ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [البقرة: ٢٧٤]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٢-٢٣]. فهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى، والإنفاق في محابه ومراضيه، والإحسان إلى خلقه من قرابتهم وغيرهم بأنواع البر، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**» فذكر منهم: «**وَرَجُلٌ تَصدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**»(١).

وفي الحديث القدسي: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»(٢) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**» أخرجه البخاري ومسلم(٣).

ومعنى الحديث: ينبغي أن لا يغبط أحد إلا على هاتين الخصلتين، وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(٤) أخرجه البخاري ومسلم.

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: ٧]، رقم: (٤٦٨٤)، مسلم: كِتَاب الزَّكَاةِ، رقم: (٩٩٣).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أخرجه البخاري: كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابٌ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ، رقم: (١٤١٧)، ومسلم: كِتَابُ الْجَنَائِزِ، رقم: (١٠١٦).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ «**أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟**» **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ**: «**فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ**» رواه البخاري(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**» رواه البخاري ومسلم(٢).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الجَنَّةَ**» رواه البخاري من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**» رواه مسلم(٤).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رجلا سأل رسول الله ﷺ أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**» متفق عليه(٥).

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ مَا قَدَّمَ مِنْ مَالِهِ فَهُوَ لَهُ، رقم: (٦٤٤٢).
(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١﴾ [الليل: ٥-١١]، رقم: (١٤٤٢)، ومسلم: كِتَاب الزَّكَاةِ، رقم: (١٠١٠).
(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا، بَابُ فَضْلِ المَنِيحَةِ، رقم: (٢٦٣١).
(٤) أخرجه مسلم: كتاب البِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، رقم: (٢٥٨٨).
(٥) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، بَابٌ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنَ الإِسْلَامِ، رقم: (١٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم: (٣٩).

وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**لَا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ**»(١)؛ وفي رواية: «**انْفَحِي أَوْ انْضَحِي أَوْ أَنْفِقِي، وَلَا تُحْصِي، فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ، وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ**». متفق عليه(٢) ومعنى: أنفحي بالحاء المهملة وكذا أنضحي، معناه: أنفقي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ، حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ**». متفق عليه(٣)، **والجُنَّة هي**: الدرع.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**». متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه(٤) **والفلوّ**: المهر، وقوله: «**بِعَدْلِ تَمْرَةٍ**» أي: بقيمتها.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالشَّفَاعَةِ فِيهَا، رقم: (١٤٣٣).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا، بَابُ هِبَةِ المَرْأَةِ لِغَيْرِ زَوْجِهَا وَعِتْقِهَا، رقم: (٢٥٩١)، ومسلم: كِتَاب الزَّكَاةِ، رقم: (١٠٢٩).

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ مَثَلِ المُتَصَدِّقِ وَالبَخِيلِ، رقم: (١٤٤٣)، ومسلم: كِتَاب الزَّكَاةِ، رقم: (١٠٢١).

(٤) أخرجه البخاري: كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، رقم: (١٤١٠)، ومسلم: كِتَاب الزَّكَاةِ، رقم: (١٠١٤).

الصفة الرابعة عشر
كظم الغيظ

لقد ذكر الله تعالى هذه الصفة في أوصاف المتقين، الذين وعدهم بالمغفرة لذنوبهم، وأعدّ لهم الجنة جزاء لهم على أعمالهم الصالحة الطيبة، وأمر عباده بالمسارعة إلى المغفرة والجنة، وذلك يكون بالمسارعة إلى أسباب ذلك، وهي الأعمال الصالحة؛ فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

وكظم الغيظ: (رده في الجوف، يقال: كظم غيظه، أي: سكت عليه ولم يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوّ، وكظمت السقاء أي: ملأته وسددته عليه، والكظامة ما يسدّ به مجرى الماء، وفيه رجل كظيم ومكظوم إذا كان ممتلئًا غمًّا وحزنًا)[١]، وفي القرآن الكريم: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾﴾ [يوسف: ٨٤]. وقوله ﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٥٨﴾﴾ [النحل: ٥٨]. وقوله ﴿إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾﴾ [القلم: ٤٨].

وَالْغَيْظُ أَصْلُ الْغَضَبِ؛ (وَكَثِيرًا مَا يَتَلَازَمَانِ لَكِنَّ فُرْقَانَ مَا بَيْنَهُمَا، أَنَّ الْغَيْظَ لَا يَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ، بِخِلَافِ الْغَضَبِ فَإِنَّهُ يَظْهَرُ فِي الجوارح مع فعل ما لابد)[٢].

(١) انظر: لسان العرب (١٢/ ٥٢٠)، والقاموس المحيط (١/ ١١٥٥).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٢٠٧).

فوصف الله تعالى المتقين بقوله: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. **أَي**: (الْجَارِعِينَ الْغَيْظَ عِنْدَ امْتِلَاءِ نُفُوسِهِمْ مِنْهُ، وَالْكَظْمُ: حَبْسُ الشَّيْءِ عند امتلائه أَوكَظْمُ الْغَيْظِ أَنْ يَمْتَلِئَ غَيْظًا فَيَرُدُّهُ فِي جَوْفِهِ وَلَا يُظْهِرُهُ)(١).

ومنه: قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾ [غافر: ١٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغضبِ**» أخرجه أحمد والبخاري ومسلم(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ أَوْصِنِي، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»، فَرَدَّدَ مِرارًا، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**» رواه البخاري(٣).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ**» رواه الإمام أحمد وأبو داود(٤).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ**» أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه(٥).

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٠٥)، وتفسير الطبري (٧/ ٢١٤).
(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ الحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ، رقم: (٦١١٤)، ومسلم: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، رقم: (٢٦٠٩).
(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ الحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ، رقم: (٦١١٦).
(٤) أخرجه أبو داود: كِتَاب الْأَدَبِ،بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْغَضَبِ، رقم: (٤٧٨٤)، وأحمد في المسند رقم (١٧٩٨٥).
(٥) أخرجه أبو داود: كِتَاب الْأَدَبِ، بَابُ مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، رقم: (٤٧٧٧)، والترمذي: أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ، بَابٌ فِي كَظْمِ الغَيْظِ، رقم: (٢٠٢١)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ» وابن ماجه: كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الْحِلْمِ، رقم: (٤١٨٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**وما من جَرْعَةٍ أحبُّ إلى من جرعة غيظ يَكْظمُها عبدٌ، ما كظَمَها عبدٌ لله إلا ملأ الله جوفَه إيماناً**»[(١)] أخرجه الإمام أحمد. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: **إِسْنَادُهُ حَسَنٌ لَيْسَ فِيهِ مَجْرُوحٌ، وَمَتْنُه حَسَنٌ**[(٢)].

(١) أخرجه أحمد في مسنده: رقم: (٣٠١٥).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٢١).

الصفة الخامسة عشرة

العفو عن الناس

لقد ذكر الله تعالى هذه الصفة في أوصاف المتقين الذين وعدهم بالمغفرة لذنوبهم، وأعد لهم الجنة جزاء لهم على أعمالهم الصالحة، وأمر عباده بالمسارعة إلى المغفرة والجنة، وذلك بالمسارعة إلى أسباب ذلك وهي الأعمال الصالحة، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

فقوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَمُقَاتِلٌ: عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَأَسَاءَ إِلَيْهِمْ(١)؛ وهذا عام وهو ظاهر بالآية، فهم مع كف الشرّ يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم، فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد، وهذا أكمل الأحوال.

والعفو عن الناس من أجلّ ضروب الخير، حيث يجوز للإنسان أن يعفو، وحيث يتّجه حقه، وكل من استحق عقوبة فتركت له، فقد عُفي عنه.

وفي الحديث: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ،**

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٠٥).

إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»(١).

وروى الحاكم في مستدركه من حديث عبادة بن الصامت، عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُشْرِفَ لَهُ الْبُنْيَانُ، وَتُرْفَعَ لَهُ الدَّرَجَاتُ، فَلْيَعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَلْيُعْطِ مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلْ مَنْ قَطَعَهُ**»(٢). ثم قال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

وقد قال تعالى في سورة الشورى في وصف الذين آمنوا: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۝٣٧﴾ [الشورى: ٣٧]. أي: سجيّتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيتهم الانتقام من الناس.

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ: «**مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ**»(٣)، وقال إبراهيم النخعي: «**كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَكْرَهُونَ أَنْ يُسْتَذَلُّوا وَكَانُوا إِذَا قَدَرُوا عَفَوْا**» أخرجه ابن أبي حاتم عنه(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، رقم: (٣١٦١)، وأخرجه الطبراني في الكبير (١/ ١٩٩/ ٥٣٤).

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم: (٣٥٦٠)، ومسلم: كتاب الْفَضَائِلِ، رقم: (٢٣٢٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٧٩/ ١٨٤٨٦)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٢١٠).

الصفة السادسة عشرة

الإحسان

لقد ذكر الله تعالى هذه الصفة في أوصاف المتقين الذين وعدهم بالمغفرة لذنوبهم، وأعدّ لهم الجنة جزاء لهم على أعمالهم الطيبة، وأمر عباده بالمسارعة إلى المغفرة والجنة، وذلك بالمسارعة إلى أسباب ذلك، وهي الأعمال الصالحة، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

فوصف الله تعالى المتقين بالإحسان في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤]. والإحسان أعلى مقامات الطاعة، وهو يشمل الإحسان في الأقوال وفي الأعمال، وفي الاعتقاد، كما قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥] أي: أحسنوا في الإنفاق في الطاعة، روى ذلك عن بعض الصحابة.

وفي الأقوال: يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣] أي: كلموهم طيبًا، ولينوا لهم جانبًا، ويدخل في ذلك: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال الحسن البصري في هذه الآية: **«فالحُسْن مِنَ الْقَوْلِ: يأمر بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَحْلُمُ، وَيَعْفُو، وَيَصْفَحُ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ حُسْنًا كَمَا قَالَ اللَّهُ، وَهُوَ كُلُّ خُلُق حَسَنٍ رَضِيَه**

اللَّهُ» أ.هـ.[١].

ويدخل في ذلك: الأمر بالتوحيد، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: المعنى: **قُولُوا لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَمُرُوهُمْ بِهَا**[٢].

وقال ابن جريج: «**قولوا للناس صدقًا وحقًّا في شأن محمد ﷺ، فمن سألكم عنه فاصدقوه وبيّنوا له صفته، ولا تكتموا أمره، ولا تغيروا نعته**»[٣] وقال أبو العالية: «**قُولُوا لَهُمُ الطَّيِّبَ مِنَ الْقَوْلِ، وَجَازُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَا تُحِبُّونَ أَنْ تُجَازَوْا بِهِ**»[٤]، والآية أعم من ذلك كله.

وبالجملة فالإحسان يشمل الأقوال والأعمال والاعتقادات؛ إذ الإحسان مصدر أحسن العمل يحسنه إحسانًا إذا جاء به حسنًا؛ والإحسان هو الذي خلق الله تعالى الخلائق من أجل الاختبار فيه، أيحسنوا العمل أم لا، كما قال الله تعالى في أول سورة هود: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧].

فبين أن الحكمة في الخلق ابتلاؤه الخلق أيهم أحسن عملًا، ولم يقل أيهم أكثر عملًا؛ وقال في أول سورة الكهف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ ثم بين الحكمة فقال: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف:٧]. وقال في أول سورة الملك ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ ثم بين الحكمة، فقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

والإحسان الذي خلقنا من أجل الابتلاء فيه هو الذي أراد جبريل أن ينبه المسلمين إلى الطريق التي يصح فيها الإحسان، حينما جاء إلى النبي ﷺ وسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان، فبين له النبي ﷺ أن

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣١٧).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ١٦).
(٣) انظر: التفسير البسيط للواحدي (٣/ ١١١)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٢٨).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ١٦)، وتفسير ابن عطية (١/ ١٧٣).

إحسان العمل لا يكون إلا بالواعظ الأكبر والزاجر الأعظم، وهو مراقبة الله تعالى، وعلم العبد أنه كأنه ينظر إلى الله تعالى، وأنه إن كان لم ير الله تعالى، فالله ﷻ يراه.

فعلى العبد أن يستشعر بأنه بين يدي خالق السماوات والأرض، وأنه يراه، وأنه ليس بغائب عنه، فإذا لاحظ العبد ذلك ملاحظة صحيحة أحسن العمل.

ولهذا قال النبي ﷺ في جوابه: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١). وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢١٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

وقد وصف الله ﷻ المؤمنين بالإحسان في القول والعمل، وأثنى عليهم، ووعدهم على ذلك الأجر العظيم، وأمنهم من الخوف والحزن، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

فهم أحسنوا القول فقالوا: ربنا الله، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ**»(٢) الحديث.

فهؤلاء المحسنون المستقيمون تتنزل عليهم الملائكة عند الموت

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلَامِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، رقم: (٥٠)، ومسلم: كِتَابُ الإِيمَانِ، رقم: (٨).
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم: (٣٨).

قائلين: لا تخافوا مما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتم من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال، فإنا نخلفكم فيه، ثم يبشرون قائلين: ﴿وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

وقد أثنى الله تعالى على الدعاة المهتدين، وأخبر أنه لا أحد أحسن قولا منه، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣] أي: لا أحد أحسن قولا ممن دعا إلى عبادة الله وطاعته، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: وهو في نفسه مهتد مما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق، وهذا عام في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد، ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك.

وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الآية: «**هُوَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي أَجَابَ اللَّهَ فِي دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ إِلَيْهِ، وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ، وَقَالَ: إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»(١).

ويدخل في هذه الآية: المؤذنون الصلحاء، كما ثبت في صحيح مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

وروى أصحاب السنن الأربعة عن النبي ﷺ أنه قال: «**الْإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ، اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الْأَئِمَّةَ وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ**»(٣).

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/ ١٣٣/ ١٨٦٥)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٤٢٩)، وتفسير ابن كثير (٧/ ١٨٠).

(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ الصَّلَاةِ، رقم: (٣٨٧).

(٣) أخرجه أبو داود: كِتَاب الصَّلَاةِ، بَابُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُؤَذِّنِ مِنْ تَعَاهُدِ الْوَقْتِ، رقم: (٥١٧)، والترمذي: أَبْوَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الإِمَامَ ضَامِنٌ، وَالمُؤَذِّنَ مُؤْتَمَنٌ، رقم: (٢٠٧)، وابن ماجه: كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ مَا يَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ، رقم: (٩٨١).

والصحيح أن هذه الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم، كما قال عبدالرزاق، عن معمر، عن الحسن البصري رحمه الله أنه تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فقال: «**هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ، هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ، هَذَا صَفْوَةُ اللَّهِ، هَذَا خِيرَةُ اللَّهِ، هَذَا أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ، أَجَابَ اللَّهَ فِي دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ اللَّهَ فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ، وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ** ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ **هَذَا خَلِيفَةُ اللَّهِ**»(١).

ومن الإحسان في القول والعمل: أن تدفع من أساء إليك بالإحسان إليه، بأن تصبر عند الغضب، وتحلم عند الجهل، وتعفو عند الإساءة، فإذا فعلت ذلك خضع لك عدوّك، وصار كالصديق القريب من الشفقة إليك، والإحسان إليك؛ ولكن ما يُلَقَّى هذه الخصلة، وهي: دفع السيئة بالحسنة، ويقبل هذه الوصية، ويعمل بها، إلا من صبر على كظم الغيظ، واحتمال المكروه، وذلك يشق على النفوس، وما يلقى هذه الخصلة ويصبر عليها ويقبلها إلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة، وذو حظ عظيم في الخير والثواب، ووجبت له الجنة، قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وقال تعالى في وصف أولي الألباب السعداء، الذين لهم عقبى الدار، وهي جنات عدن يدخلونها قال: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢] أي: **يَدْفَعُونَ الْقَبِيحَ بِالْحَسَنِ، فإذا**

---

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق (٣/ ١٥٥/ ٢٧١٠)، وتفسير الطبري (٢١/ ٤٦٩)، وتفسير ابن كثير (٧/ ١٦٥).

آذَاهُمْ أَحَدٌ قَابَلُوهُ بِالْجَمِيلِ صَبْرًا وَاحْتِمَالًا وَصَفْحًا وَعَفْوًا(١)، وقال تعالى في سورة "المؤمنون": ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦﴾ [المؤمنون: ٩٦].

وقد وعد الله تعالى من أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح: الحسنى في الدار الآخرة؛ وهي الجنة، ووعدهم على ذلك أيضًا: زيادة، وهي تشمل تضعيف ثواب الأعمال الحسنة بعشر أمثالها، وتشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأعلاه النظر إلى وجه الله الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله ورحمته، قال تعالى في بيان هذا الوعد الكريم للمحسنين: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ﴾ [يونس: ٢٦]. وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠]. وقد روى تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، عن جماعة من السلف والخلف من الصحابة ومن بعدهم.

وجاء في تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ منها حديث صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ﴾ [يونس: ٢٦]. وقال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ** رضي الله عنه»(٢).

كما أخبر الله تعالى أن هؤلاء المحسنين لا يغشى وجوههم قتام وسواد في عرصات المحشر، كما يعتري وجوه الكفرة الفجرة من القترة

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥١).
(٢) أخرجه مسلم: من حديث صهيب رضي الله عنه كتاب الإيمان، رقم: (١٨١).

والغبرة، هوان وصغار، أي: لا يحصل لَهم إهانة في الباطن، ولا في الظاهر، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس:٢٦] بل هم كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان:١١] أي: **نَضْرَةً فِي وُجُوهِهِمْ وَسُرُورًا فِي قُلُوبِهِمْ**(١)، وهؤلاء هم أهل الجنة، المقيمون فيها أبد الآباد، لا يرحلون عنها، ولا يظعنون، ولهذا قال فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة:٨٢] جعلنا الله منهم بمنه وفضله ورحمته، إنه جواد كريم رءوف رحيم.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٣)، وتفسير الطبري (٢٤/ ١٠١)، والدر المنثور (٨/ ٣٧٢) عن قتادة.

الصفة السابعة عشر

التوبة

لقد ذكر الله تعالى صفة التوبة بعد الذنب وعدم الإصرار عليه، في أوصاف المتقين الذين وعدهم بالمغفرة لذنوبهم، وأعد لهم الجنة جزاء لهم على أعمالهم الطيبة، وأمر عباده بالمسارعة إلى المغفرة والجنة، وذلك بالمسارعة إلى أسباب ذلك، وهي الأعمال الصالحة، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

فوصف الله تعالى المؤمنين المتقين بأنه إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار، ولم يصرّوا على ما فعلوا من الذنب، فلم يقيموا؛ ولم يثبتوا عليه غير مقلعين عنه، وهم يعلمون أن الإصرار ضار، وأن من تاب تاب الله عليه، وأن الله تعالى يغفر الذنوب، ولا يتعاظمه العفو عنها، وإن كثرت؛ بل تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله تعالى عن قريب، ولم يستمروا على المعصية.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾ [الشورى: ٢٥-٢٦].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [التوبة: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

فأخبر الله تعالى عن كرمه وجوده، أن كل من تاب تاب الله تعالى عليه من أي ذنب كان صغيرًا أو كبيرًا، وهذا فيه بيان من الله تعالى لعباده بسعة رحمته، ومغفرته، وحلمه، وكرمه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا ـ وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا ـ فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ ـ وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ ـ فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ ـ أَوْ أَصَبْتُ ـ آخَرَ، فَاغْفِرْهُ؟ فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ ـ أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ ـ آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ**» أخرجه الشيخان البخاري ومسلم(١).

* **أقول**: وليس هذا الحديث إذنًا في الذنب، بل المعنى أن العبد لا يضره الذنب، مادام إذا وقع في الذنب تاب وندم وأقلع.

والتوبة من الذنوب والمعاصي عبادة يجب إخلاصها لله عز وجل، ولا أحد يغفر الذنوب غير الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ١٥]، رقم: (٧٥٠٧)، ومسلم: كتاب التَّوْبَةِ، رقم: (٢٧٥٨).

وروى الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] عن الأسود بن سريع: أن النبي ﷺ أُتِي بأسير فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ، وَلَا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ**».

ويتأكد الوضوء وصلاة ركعتين عند التوبة: لما رواه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده، عن على بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللَّهُ بِمَا شَاءَ مِنْهُ وَإِذَا حَدَّثَنِي عَنْهُ غَيْرِي اسْتَحْلَفْتُهُ فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَنِي وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ قَالَ مِسْعَرٌ وَيُصَلِّي وَقَالَ سُفْيَانُ: ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا غَفَرَ لَهُ**»[٢].

قال الحافظ بن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣] رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِيني، والحُمَيْدي وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَهْلُ السُّنَنِ، وَابْنُ حِبَّان فِي صَحِيحِهِ وَالْبَزَّارُ والدارقُطْني، مِنْ طُرُقٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، بِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هُوَ حَدِيثٌ وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَهُوَ مِنْ رِوَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ خَلِيفَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وَمِمَّا يَشْهَدُ لِصِحَّةِ هَذَا الْحَدِيثِ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ ـ أَوْ فَيُسْبِغُ ـ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُاللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ**

---

(١) في مسنده: رقم: (١٥٥٨٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٨٤/ ٧٦٥٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) المسند: (٢)، وأخرجه أبو داود: أَبْوَابِ الْوِتْرِ، بَابٌ فِي الِاسْتِغْفَارِ، رقم (١٥٢١)، والترمذي: أَبْوَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّلَاةِ عِنْدَ التَّوْبَةِ، رقم: (٤٠٦)، وابن ماجه: كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي أَنَّ الصَّلَاةَ كَفَّارَةٌ، رقم (١٣٩٥).

(٣) في تفسيره: (٢/ ١٣٣).

أَيِّهَا شَاءَ»[١].

وفي الصحيحين[٢] عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁ أنه توضأ لهم وضوء النبي ﷺ ثم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**.

ثم قال ﵀: **فَقَدْ ثَبَتَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ رِوَايَةِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، عَنْ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الْمُبِينُ مِنْ أَنَّ الِاسْتِغْفَارَ مِنَ الذَّنْبِ يَنْفَعُ الْعَاصِينَ**[٣].

---

(١) أخرجه مسلم: كِتَابِ الطَّهَارَةِ، رقم: (٢٣٤).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الوُضُوءِ، بَابُ: الوُضُوءُ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، رقم: (١٥٩)، ومسلم: كِتَابِ الطَّهَارَةِ، رقم: (٢٢٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٤).

الصفة الثامنة عشرة
طاعة الله ورسوله والاستجابة لله ولرسوله

لقد وصف الله المؤمنين بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله الكريم ﷺ بعد أن وصفهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأنهم يتناصرون ويتعاونون.

وأخبر سبحانه أن الاتصاف بهذه الصفات سبب لرحمة الله تعالى؛ فمن اتصف بهذه الصفات فهو من أهل الرحمة؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وأخبر تعالى بما أعده للمؤمنين والمؤمنات من الخيرات، والنعيم المقيم في جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين وماكثين فيها، في مساكن حسنة البناء طيبة القرار، فقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ﴾ [التوبة: ٧٢].

وبين سبحانه أن رضى الله تعالى عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم، وأن هذا الفوز الذي حصل لهم هو الفوز العظيم على الحقيقة، فقال: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالاستجابة لله وللرسول ﷺ، وناداهم باسم الإيمان، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا

دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فأخبر تعالى أن الاستجابة لله ﷻ وللرسول ﷺ إذا دعاهم، فيه حياة لهم، وصلاح لهم؛ لأنه يدعوهم إلى الحق والإيمان، وإلى العمل بالقرآن، الذي فيه نجاتهم، وبقاؤهم، وسعادتهم، وحياتهم بعد موتهم، وعصمتهم في الدارين.

وفي الصحيح عن أبي سعيد المعلّي رضي الله عنه قال: كُنْتُ أُصَلِّي فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَانِي، فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: «**مَا مَنعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]» الحديث(١).

فطاعة الله ورسوله والاستجابة لله ولرسوله سبب للحياة الحقيقية؛ حياة الإيمان، والهدى والرشاد، والعزة، والسعادة، والفلاح في الدنيا والآخرة.

وقد أخبر الله تعالى أن ما عنده ﷻ من الثواب في الآخرة خير وأبقى للمؤمنين، الذين من صفاتهم؛ الاستجابة لربهم؛ وذلك باتباع رسله، وطاعة أمره، واجتناب نهيه، مع توكلهم على الله ﷻ وبعدهم عن الكبائر، والفواحش، وإقامتهم للصلاة، وإحسانهم إلى خلق الله بالمال، والعفو، والحلم، وكظم الغيظ عند الغضب، فقال تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى: ٣٦-٣٨].

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤]، رقم: (٤٦٤٧).

وقد أوضح الله تعالى عاقبة المستجيبين والمطيعين لله ولرسوله ﷺ:

١ ـ أن عاقبتهم حميدة، والمآل الحسن الطيب.

٢ ـ أن لهم الجزاء الحسن، وهو الجنة، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فهم في نعمة وحبور وبهجة وسرور، قد رضي الله ﷻ عنهم ورضوا عنه، وأسكنهم فسيح جناته، وأحلهم دار كرامته ورضوانه، فقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الرعد:١٨] أي: المآل الحسن، والعاقبة الحسنة، وهي: الجنة، وكقوله تعالى مخبرًا عن ذي القرنين أنه قال: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف:٨٧-٨٨]. وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

أما الذين لم يستجيبوا لله ولرسوله ﷺ، ولم يطيعوا الله ورسوله ﷺ، فإن عاقبتهم وخيمة، ومصيرهم مؤلم، ومأواهم في الآخرة جهنم بعد سوء الحساب حين يناقشون الحساب، ومن نوقش الحساب عذب، يحاسبون على أعمالهم جليلها وحقيرها، ثم يستفزون في النار وبئس الفراش والمهاد لهم، ويودُّون لو يمكنهم أن يفتدوا من عذاب الله ﷻ بملئ الأرض ذهبًا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة، ولكنه لا يتقبل منهم، قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد:١٨].

الصفة التاسعة عشر

إقامة الشهادة والقيام بها

إن من صفات المؤمنين التي مدح الله ﷻ أهلها، وأثنى عليهم: إقامة الشهادة، والقيام بها، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ۝٣٣﴾ [المعارج: ٣٣].

وأخبر سبحانه أنه باتصافهم بذلك مع أوصاف أخرى: يدخلون الجنة، يُكْرمون فيها بالنعيم؛ فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج: ٣٥].

ومعنى إقامة الشهادة: القيام فيها بالحق، والمحافظة عليها، وأداؤها بدون زيادة ولا نقصان، وعدم كتمانها وتغييرها، وأداؤها بالحق عند الحاكم على من كانت عليه من قريب أو بعيد، عدو أو صديق، وقد أمر الله تعالى في سورة الطلاق بإقامة الشهادة لله، فقال تعالى: ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ﴾ [الطلاق: ٢] أي: ليكن أداؤها ابتغاء وجه الله، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقا، خالية من التحريف والتبديل والْكتمان[1].

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوّامين بالعدل، شهداء لله لا لغيره، ولو على أنفسهم، أو الوالد، أو القريب؛ فيشهد بالحق، وإن عاد ضرر الشهادة عليهم، فإن الحق حاكم على كل أحد، وسواء كان المشهود عليه غنيًا أو فقيرًا، فلا يراعى لغناه، أو يشفق عليه لفقره.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٣).

فالله تعالى يتولى الغنيَّ والفقير، وهو أولى بهم من الشهادة، وأعلم بما فيه صلاحهما، وينبغي للشاهد وغيره أن يلزم العدل في أموره وشؤونه كلها، ويلزم العدل على أي حال، ولا يحمله الهوى والعصبية والبغض على ترك العدل، قال الله تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء: ١٣٥].

قال سبحانه في آية المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

فأمر الله ﷻ المؤمنين أن يكونوا قوامين بالحق لله، لا لأجل الرياء والسمعة؛ وأن يكونوا شهداء بالعدل، لا بالجور؛ بل يستعملون العدل مع كل أحد، صديقًا كان أو عدوًا.

وقد ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أنه قال: «تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَالِهِ، فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيُشْهِدَهُ عَلَى صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ**»، فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ»[١].

وقد توعد الله من كتم الشهادة وتركها أو حرّفها وغيّرها، وتعمّد الكذب فيها فإنه سيلقى جزاءه عند الله؛ لأن الله تعالى خبير بعمله وقصده ونيته، فيجازيه على ذلك بما يستحقه قال تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا، بَابُ الهِبَةِ لِلْوَلَدِ، وَإِذَا أَعْطَى بَعْضَ وَلَدِهِ شَيْئًا لَمْ يَجُزْ، حَتَّى يَعْدِلَ بَيْنَهُمْ وَيُعْطِيَ الآخَرِينَ مِثْلَهُ، وَلَا يُشْهَدُ عَلَيْهِ، رقم: (٢٥٨٦)، ومسلم واللفظ له: كِتَابُ الْهِبَاتِ، رقم: (١٦٢٣).

تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] أي: لا تخفوها وتغلّوها إذا دعيتم إلى إقامتها وأدائها، ومن فعل ذلك فهو فاجر قلبه، كقوله في الآية الأخرى: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْأَثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [المائدة: ١٠٦].

وخصّ **القلب بالذكر**؛ لأن الكتمان من أفعاله، وهو المضغة التي بصلاحها يصلح الجسد، وبفسادها يفسد الجسد، كما قال ﷺ: **«أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»** أخرجه البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما[(١)].

وإضافته الإثم إلى القلب أبلغ في الوعيد؛ لأن إثم القلب سبب مسخه، والله تعالى إذا مسخ قلبا جعله منافقا وطبع عليه، نعوذ بالله منه[(٢)].

وقد نهى الله تعالى الشهداء عن الامتناع من تحمل الشهادة إذا دعوا إلى ذلك، وكذا إذا دعوا إلى إقامة الشهادة وأدائها، بل عليهم الإجابة إذا تعينت عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وتحمّلُ الشهادة فرض كفاية على الصحيح، وكذا أداؤها فرض كفاية، كما هو مذهب جمهور العلماء[(٣)].

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا»**[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٤١٥).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٧٢٥).
(٤) كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، رقم: (١٧١٩).

لكنه عارضه حديث عمران بن حصين، الذي أخرجه الشيخان ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» ـ قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**»[(١)].

ومثله حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**». أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[(٢)].

وقد اختلف العلماء في الجمع بينهم على أقوال:

الأول: وهو أحسنها وأرجحها أن حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه محمول على ما إذا كان عند الشاهد شهادة بحق، لا يعلم بها صاحب الحق، أو يغلب على ظنه أنه نسيها، فيأتي إليه فيخبره بها، أو يموت صاحبها فيخلِّف ورثةً، فيأتي إليهم فيخبرهم بأن عنده لهم شهادة.

الثاني: أن حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه محمول على: شهادة الحِسبة، وهي: ما لا يتعلق بحقوق الآدميين المختصة بهم محضًا، ويدخل في الحسبة ما يتعلق بحق الله تعالى، أو فيه شائبة منه؛ كالصلاة والوقف والوصية العامة ونحوها.

أما حديث عمران بن حصين رضي الله عنه وحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فهما محمولان على: الشهادة في حقوق الآدميين المحضة.

الثالث: أن قوله في حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه: «**الَّذِي**

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابٌ: لَا يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ، رقم: (٢٦٥١)، ومسلم: كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، رقم: (٢٥٣٥)

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابٌ: لَا يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ، رقم: (٢٦٥٢)، ومسلم: كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، رقم: (٢٥٣٣).

يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا»، محمول على: المبالغة في الإجابة، فيكون لقوة استعداده، كالذي أتى بها قبل أن يُسألها، كما يقال في حق الجواد: إنه ليعطي قبل الطلب، **وهذه الأجوبة مبنية على**: أن الشهادة لا تؤدى قبل أن يطلبها صاحب الحق.

ومن العلماء من أجاز تأدية الشهادة قبل طلب صاحب الحق لها؛ عملًا بحديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، **وأجيب عن عمران بن حصين وحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما بأجوبة:**

الأول: أنه محمول على شهادة الزور، أي: يؤدون شهادة لم يسبق لهم بها علم، حكاه الترمذي عن بعض أهل العلم(١).

الثاني: أن المراد: إتيانه بالشهادة بلفظ الحلف، نحو: أشهد بالله ما كان إلا كذا.

الثالث: أن المراد: به الشهادة على ما لا يعلم مما سيكون من الأمور المستقبلة، فيشهد على قوم بأنهم من أهل النار، وعلى قوم بأنهم من أهل الجنة، من غير دليل، كما يصنع ذلك أهل الأهواء.

* **قلت**: وأرجح هذه الأقوال القول الأول؛ وهو: أن الأصل ألا يؤدي الشهادة حتى تطلب منه؛ عملًا بحديث عمران بن حصين، وعبدالله ابن مسعود رضي الله عنهما ونحوهما، مما فيه ذم المتسرّع بالشهادة قبل أن تطلب منه، وحديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه محمول على ما إذا كان صاحب الحق لا يعلم بالشهادة، أو يغلب على ظن الشاهد أنه نسيها، أو مات صاحب الحق وورثته لا يعلمون بالشهادة، فيأتي الشاهدُ، فيخبر صاحبَ الحق بالشهادة التي له عنده، ونسأل الله تعالى أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فإنه سبحانه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

(١) سنن الترمذي: أبواب الشهادات، باب ما جاء في شهادة الزور، رقم (٢٣٠٣).

الصفة العشرون
التوكل على الله عز وجل

إن التوكل من صفات المؤمنين كاملي الإيمان، فهو من صفات المؤمنين حقًا؛ **والتوكل فريضة** يجب إخلاصها لله تعالى، وهو من أفضل العبادات، وأعلى مقامات التوحيد، ولا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين.

وقد أمر الله بالتوكل في آيات كثيرة من كتابه أكثر مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة، بل جعل الله تعالى التوكل شرط في الإيمان؛ قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة:٢٣]؛ **ومفهوم الآية**: انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل، قال ابن القيم رحمه الله على هذه الآية: «**فجعل التوكل على الله** عز وجل **شرطًا في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه**» أ.هـ[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ۝٨٤﴾ [يونس:٨٤]، فجعل التوكل شرطًا في الإسلام؛ **ومفهوم الآية**: انتفاء الإسلام عند انتفاء التوكل؛ قال ابن القيم رحمه الله: «**فجعل دليل صحة الإسلام: التوكل**» أ.هـ[(٢)].

وقال تعالى آمرًا بالتوكل: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود:١٢٣]. وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩﴾ [المزمل:٩]. وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ [الفرقان:٥٨]. وقال تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي

(١) طريق الهجرتين (١/ ٢٥٥).
(٢) المصدر السابق.

وَكِيلًا ﴿٢﴾ [الإسراء:٢]. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ [التوبة:١٢٩].

التوكل لابد فيه من أمرين:

أحدهما: تفويض الأمر إلى الله ﷻ، واعتماد القلب عليه سبحانه، مع صحة الإيمان.

الثاني: فعل الأسباب التي أمر الله ﷻ بها دينية أو دنيوية؛ **فالدينية**: أداء الفرائض، والانتهاء عن المحارم، ومثل طلب العلم الشرعي، **والدنيوية**: كالحرث، والزراعة، والتجارة، وغير ذلك.

- **والتوكل في اللغة**: قال في القاموس: «**وَكَلَ باللهِ يَكِلُ وتَوَكَّلَ على اللهِ وأَوْكَلَ واتَّكَلَ: اسْتَسْلَمَ إليه.ووَكَلَ إليه الأمْرَ وَكْلاً ووُكُولاً: سَلَّمَهُ وتَرَكَهُ**»(١).

وقال ابن الأثير الجزري: «**توكل بالأمر، إذا ضمن القيام به،ووكلت أمري إلى فلان: أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه. ووكل فلان فلانا، إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزا عن القيام بأمر نفسه**»(٢).

والتوكل على الله ﷻ من صفات المؤمنين حقا، الذين وعدهم الله تعالى بدرجات عند ربهم، ووعدهم بالمغفرة لذنوبهم، ووعدهم برزق كريم، وهو ما أعد لهم في الجنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال:٢-٤].

فأخبر تعالى أن المتصفين بهذه الصفات هم المؤمنون حق

---

(١) القاموس المحيط (١/١٠٦٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٥/٢٢١).

الإيمان، ومن صفاتهم العظيمة أنهم على ربهم يتوكلون؛ أي: يفوضون إليه أمورهم، ويثقون به، ولا يرجون غيره، ولا يخافون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه.

والتوكل على الله ﷻ من صفات السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، كما ورد بذلك الحديث الذي رواه الشيخان ـ البخاري ومسلم ـ في عرض الأمم على النبي ﷺ، وأن أمته لما عرضت عليه قيل له: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ولمّا خاض الناس فيهم، قال النبي ﷺ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»(١). **فذكر الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال، وهو**: التوكل على الله ﷻ، وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه؛ الذي هو خلاصة التفريد، ونهاية تحقيق التوحيد، الذي يثمر كلَّ مقام شريف من المحبة، والخوف، والرجاء، والرضى به ربًا وإلهًا، والرضى بقضائه.

فالتوكل على الله ﷻ من الصفات القلبية؛ لأنه تفويض للأمور كلها لله ﷻ واعتماد بالقلب عليه، وهو يدعو ويوجب ويقتضي من المتوكل فعل الأسباب ومباشرتها، فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه حتى الحيوان البهيم، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] أي: كافيه، **ومن كان الله كافيه وواقيه فلا طمع لعدوه فيه.**

ومباشرة الأسباب لا تنافي التوكل؛ كما لا ينافي دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الطِّبِّ، بَابُ مَنْ لَمْ يَرْقِ، رقم: (٥٧٥٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم: (٢٢٠).

الأسباب التي نصبها الله ﷻ مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا.

وتعطيلها يقدح في نفس التوكل؛ كما يقدح في أمر الرب وحكمته.

قال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]. جعل الله ﷻ لكل عمل جزاء من نفسه، وجعل التوكل عليه نفس كفايته، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، **وفي هذه الآية**: دليل على فضل التوكل، وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار؛ لأن الله ﷻ علق الجملة الأخيرة: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ على الجملة الأولى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، تعليق الجزاء على الشرط، ورتب الحكم على الوصف المناسب له، فعلم أن التوكل على الله هو سبب كون الله حسْبًا له، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

فالتوكل على الله ﷻ عبادة وفرض، وصرفه لغير الله ﷻ شرك، لكن **التوكل على غير الله تعالى قسمان**:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة، فهذا شرك أكبر؛ لأن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله ﷻ.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة العادية كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما جعله الله ﷻ بيده من الرزق، أو دفع الأذى، ونحو ذلك؛ فهذا شرك أصغر، لما فيه من ميل القلب إلى المخلوق، وإن كانت الأسباب ظاهرة.

---

(١) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية، رشاد سالم (١/ ٨٨).

خاتمة

أسأل الله تعالى أن ينفع بكلمات هذا البحث المتواضع، وأن يجعلني أول المنتفعين، وأن يجعل ذلك خالصًا، مرادًا به وجه الله سبحانه، وأسأل الله سبحانه أن يوفقني في المستقبل لمواصلة الكتابة في هذا الموضوع، إنه سبحانه خير مسؤول، وأكرم مسؤول.

وأسأله سبحانه أن يوفقني وإخواني المسلمين للعمل الصالح الذي يرضيه، ومجاهدة النفس للاتصاف بصفات المؤمنين، وأمر رسوله ﷺ إنه سبحانه حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع	الصفحة
المقدمة:	٥
• الصفة الأولى: "الإيمان بالغيب":	٧
- الإيمان في اللغة وفي الشرع:	٨
- تفسير العلماء لمعنى الإيمان:	٨
- الإيمان أعم من الإسلام:	٨
- الأدلة على أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان:	٩
- كلام السلف في معنى الإيمان بالغيب:	١٠
- فضل الإيمان بالغيب:	١١
• الصفة الثانية: "إقامة الصلاة":	١٣
- كلام السلف في معنى إقامة الصلاة:	١٤
- الصلاة في اللغة هي: الدعاء:	١٤
- الأمور اللازمة لإقامة الصلاة:	١٥
- الطمأنينة ركن من أركان الصلاة:	١٦
• الصفة الثالثة: "الخشوع في الصلاة":	١٨
- كلام السلف في معنى الخشوع في الصلاة:	١٩
- أنواع الخشوع:	٢٠
- الصلاة أعظم صلة ورابطة تربط العبد بربه:	٢٤
- الصلاة تجدد العهد والميثاق بين العبد وربه:	٢٤
- من لوازم الخشوع في الصلاة:	٢٦
- المصلون من الناس قليل، والمقيم للصلاة منهم أقل القليل:	٢٧
- متى تكلف الإنسان تعاطي الخشوع مع فراغ قلبه كان هذا خشوع النفاق:	٢٩
- الخشوع ينشأ من معرفة الله تعالى:	٣٠
• الصفة الرابعة: "المحافظة على الصلاة":	٣٢
- ما المراد بالمحافظة على الصلاة؟	٣٣
- ذكر الأدلة في الترهيب من تأخير الصلاة عن وقتها:	٣٣

الموضوع	الصفحة

- ذكر الأدلة على وجوب صلاة الجماعة: ٣٥
- ذكر بعض الآثار عن الصحابة في وجوب صلاة الجماعة: ٣٨
- ذكر الأدلة على فضل صلاة الجماعة: ٣٩

• الصفة الخامسة: "حفظ الفروج": ٤١
- بعض المفاسد والجنايات العظيمة للزنا: ٤٥
- بعض الأمور العظيمة التي تنطوي تحت جريمة اللواط: ٤٩
- الأدلة على تحريم العادة السرية: ٥٠
- بعض المضار التي تترتب على العادة السرية: ٥٢

• الصفة السادسة: "رعاية الأمانة": ٥٤
- الأمانة تشمل كل ما استودعك الله أمره وأمرك بحفظه: ٥٤
- الأمانة عامة تشمل جميع الفرائض التي ائتمن الله عليه العباد: ٥٥
- لا تنافي بين تفسير الأمانة بالتكليف وتفسير بعض السلف لها ببعض الواجبات: ٥٦
- الأمانة تعم جميع وظائف الدين: ٥٧
- يدخل في الأمانة حفظ الجوارح عن المحرمات: ٥٧
- من الآثار السيئة لخيانة الأمانة: ٦٣

• الصفة السابعة: "حفظ العهد": ٧٠
- تفسير السلف لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾: ٧٠
- يدخل في نقض العهد: نقض البيعة: ٧٢
- اختلاف أهل التفسير في معنى العهد الذي وُصف الفاسقون بنقضه: ٧٦

• الصفة الثامنة: "الإعراض عن اللغو": ٧٩
- معنى اللغو في اللغة: ٧٩
- تطبيق السلف لصفة الإعراض عن اللغو: ٧٩
- الحياة قصيرة، فلا مجال فيها للهو واللعب: ٨١

• الصفة التاسعة: "فعل الزكاة": ٨٣
- المراد بالزكاة على وجهين في التفسير: ٨٣
- قوله تعالى: ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ﴾: ٨٤

• الصفة العاشرة: "التصديق بيوم الدين": ٨٥
- التصديق بيوم الدين يبعث على العمل الصالح ويزجر عن السيئات: ٨٦

• الصفة الحادية عشرة: "الإشفاق من عذاب الله": ٨٩
- من أسرع في السير يوشك أن يصل إلى ما يريد: ٩١

الموضوع | الصفحة

• الصفة الثانية عشرة: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر": ٩٤
- ينبغي لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يعرف ثلاثة أمور: ٩٦
- الواجب على من أراد إنكار المنكر: ٩٧
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة المؤمنين الموعودين برحمة الله تعالى: ٩٨
- إنكار المنكر يجب بحسب الاستطاعة: ٩٨
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من آكد الأصول الإسلامية: .. ٩٩
- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يخفى على آحاد المسلمين: ٩٩
- ذكر النصوص التي فيها الوعيد على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ١٠٠
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوام دين الله ﷻ: ١٠٢
- ذكر اختلاف العلماء عن من سكت عن المنكر هل من الناجين أم من الهالكين؟ ١٠٣
- أصناف الناس الذين يواجهون الدعاة ثلاثة: ١٠٤
• الصفة الثالثة عشر: "الإنفاق في السراء والضراء": ١٠٧
- معنى الإنفاق في السراء والضراء: ١٠٧
- ذكر جزائهم: ١٠٧
• الصفة الرابعة عشر: "كظم الغيظ": ١١١
- المراد بكظم الغيظ: ١١١
- الغيظ أصل الغضب وكثيرا ما يتلازمان: ١١١
• الصفة الخامسة عشرة "العفو عن الناس": ١١٤
- العفو عن الناس من أجلِّ ضروب الخير: ١١٤
- الذين آمنوا سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس: ١١٥
• الصفة السادسة عشرة: "الإحسان": ١١٦
- الإحسان يشمل الأقوال والأعمال والاعتقادات: ١١٧
- الحكمة في الخلق ابتلاؤه الخلق أيهم أحسن عملا: ١١٧
- المحسنون المستقيمون تتنزل عليهم الملائكة عن الموت: ١١٨
- أثنى الله على الدعاة المهتدين: ١١٩
- من الإحسان في القول والعمل أن تدفع من أساء إليك بالإحسان إليه: ١٢٠
- وعد الله من أحسن العمل في الدنيا الحسنى في الآخرة: ١٢١

الموضوع | الصفحة

• الصفة السابعة عشر: "التوبة": ١٢٣
- التوبة من الذنوب والمعاصي عبادة يجب إخلاصها لله: ١٢٤
- يتأكد الوضوء وصلاة ركعتين عند التوبة: ١٢٥
• الصفة الثامنة عشرة: "طاعة الله ورسوله والاستجابة لله ولرسوله": ١٢٧
- الاستجابة لله ورسوله حياة وصلاح: ١٢٨
- عاقبة المستجيبين لله ولرسوله: ١٢٩
• الصفة التاسعة عشرة: "إقامة الشهادة والقيام بها": ١٣٠
- معنى إقامة الشهادة: ١٣٠
- مسألة: هل تُؤدى الشهادة قبل أن تطلب؟ ١٣٣
• الصفة العشرون: "التوكل على الله": ١٣٥
- التوكل لابد فيه من أمرين: ١٣٦
- التوكل على غير الله قسمان: ١٣٨
خاتمة: ١٣٩
فهرس الموضوعات والفوائد: ١٤١